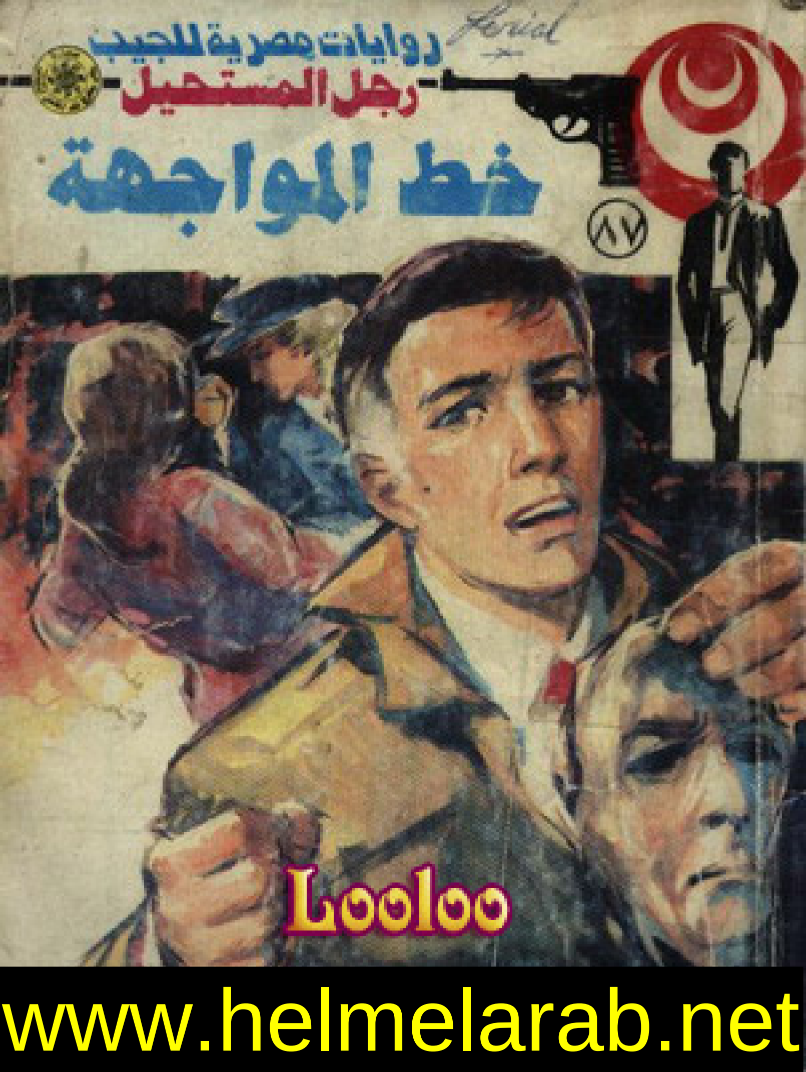

روايات مصرية للجيب
رجل المستحيل
خط المواجهة
٨٧
Looloo

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

١ - رصاصة ..

عبر رئيس قسم العمليات الخارجية ، فى إدارة المخابرات العامة المصرية ، ذلك الممر الطويل ، الذى يقود إلى حجرة مدير المخابرات ، فى خطوات سريعة واسعة ، وقد ارتسمت على وجهه المربع دلائل الاهتمام والانفعال الشديدين ، حتى بلغ حجرة المدير ، فدق بابها ، وسمع صوت المدير يدعوه للدخول ، فدفع الباب ، وولج الحجرة فى خطوة واحدة ، وهو يقول :

- خيرًا يا سيدى .. لقد حضرت فور استدعائك لى .. أهو أمر بالغ الخطورة إلى هذا الحد ؟

أشار إليه المدير بالجلوس ، وهو يقول :

- إلى حد ما .. أنت تعرف بالطبع ، لماذا أرسلنا (حسام) و(منى) إلى (نيويورك) .. أليس كذلك ؟

أجابه رئيس قسم العمليات الخارجية ، وهو يجلس على المقعد المواجه لمكتبه :

- بالطبع يا سيدى .. إنه عملى .. لقد أرسلناهما ، فى محاولة لإنقاذ عميلنا (هارولدوين) ، الذى كشف رجال المخابرات المركزية الأمريكية أمره ، ولقد بذلا قصارى جهدهما ؛ لأداء

مهمتهما بنجاح ، ولكنهما كانا يواجهان (جيمس فوستر) ، نائب مدير المخابرات الأمريكية ، والذى يحمل اسم (الثعلب) ، لشدة خبثه وذكائه ومهارته ، مما تسبب فى فشل المهمة ، وإصابة (حسام) ، ونقله إلى مستشفى السجن المركزى ، كما تسبب فى إلقاء القبض على (منى) ، وإيداعها سجن النساء الفيدرالى ، بتهمة التجسس ، ولكنهم يقولون إن (حسام) قد عاد إلى هنا ، على متن طائرة خاصة .. أهذا صحيح يا سيدى ؟

أومأ المدير برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ نعم .. وهو يعالج الآن ، فى مستشفى القوات المسلحة بالمعادى .

سأله الرجل فى دهشة :

ـ وكيف عاد ؟

أجابه المدير فى غموض :

ـ هذا ما استدعيتك بشأنه .

ثم ناوله ملفًا صغيرًا ، وهو يستطرد :

ـ هذه كل المعلومات ، التى جمعها رجالنا فى (نيويورك) ، حول أحداث عجيبة وغامضة ، تدور لصالحنا ، فى اليومين السابقين .. اقرأ الملف كله ، ثم أخبرنى رأيك فيه ..

التقط الرجل الملف ، وراح يقرؤه فى اهتمام ..

كان الملف يحوى معظم التفاصيل ، التى يمكن تسجيلها ، ولكنه لم يكن يحوى الحقائق الكاملة ، ولا الأسرار المختفية خلف هذه الحقائق ..

لم يكن يضم القصة الخفية ، التى بدأت منذ اتصلت (منى) هاتفيًا بـ(قدرى) ، من سجن النساء الفيدرالى ، وطلبت منه الاتصال بـ(أدهم) ، ليهب لنجدتها ..

لم يكن بإمكانها الاتصال مباشرة بـ (أدهم) ، خشية أن يتتبع أحدهم المكالمة ، ويكشف أمر وجوده على قيد الحياة ..

وسافر (قدرى) ، من (القاهرة) إلى (كيواوا) المكسيكية ، ليلتقى بـ(أميجو صاندو) ، أو (أدهم صبرى) ، ويخبره بما حدث ..

وهب (أدهم) من عزلته ، وانطلق الرجل من عقاله ..

رجل المستحيل ..

ومع وصوله إلى (نيويورك) ، انقلبت كفة الأمور رأسًا على عقب ..

وبدأت المعركة الحقيقية ..

المعركة التى أشعلت (نيويورك) ، ونجح خلالها (أدهم صبرى) فى إنقاذ (حسام) ، وإعادته إلى (القاهرة) ..

وتدخل (الموساد) فى العملية ..

أوكاد ..

وبدأ الثعلب (جيمس فوستر) يتخذ خطة قتالية جديدة ، فى محاولة لانتزاع النصر ، من بين أنياب الهزيمة ، وللإيقاع بالرجل ، الذى أعلنت كل أجهزة المخابرات فى العالم مصرعه ..

للإيقاع بـ(أدهم) .. (أدهم صبرى) ..

وفى نفس الوقت ، كانت (منى) تتعرّض لمحاولات قتل فى سجنها ، بسبب كراهية الحارسة (هويا) لها ، واستعانتها بعدد من أشرّ السجينات للتخلّص منها ، وعلى رأسهن الزنجية الشرسة (سيرينا) ..

وفى محاولة لقتل (منى) ، نجحت (هويا) فى إطلاق النار عليها ، وأصابتها ..

أصابتها إصابة مباشرة(*).

كل هذا لم يتضمنه التقرير ، وإن أشار إلى كل ما فعله (أدهم) فى (نيويورك) ، ولقد قرأ رئيس قسم العمليات الخارجية هذا التقرير ، وارتفع حاجباه فى دهشة واضحة ، وهو يلتفت إلى مدير المخابرات ، قائلاً :

ـ عجبًا !!.. رجل واحد ، أمكنه خداع الجميع ، والانتحال أكثر

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزأين الأول والثانى (لمسة الشر) ، و(الثعلب) ، المغامرتين رقم (٨٥) ، (٨٦) .

من شخصية بمهارة فذّة ، وهزم طائرتين بمسدس واحد ، وأثار دهشة الجميع بمهارته المذهلة فى القيادة !!.. لولا ما تتضمّنه تقاريرنا ، لجزمت ، بما لا يدع مجالاً للشك ، أن هذا الرجل ليس سوى ..

قاطعه مدير المخابرات ، وهو يبتسم فى ارتياح :

ـ (أدهم صبرى) .. أليس كذلك ؟

تردّد الرجل لحظات ، ثم قال :

ـ بالتأكيد .. ولكن كلانا يعلم أن هذا مستحيل ، لأن ..

قاطعه المدير مرة أخرى :

ـ ولكن أحدًا لم يعثر على جثة (أدهم صبرى) قط .

قال الرجل فى حزم :

ـ ولا على جثة أى مخلوق ، ممّن كانوا داخل وكر (بانشو سيلازر) ، الذى استحال إلى كومة من الرماد بعد انفجاره(*).

قال المدير فى هدوء :

ـ (أدهم) يختلف عن الآخرين .

هزّ رئيس قسم العمليات الخارجية رأسه ، وهو يقول فى حزم :

ـ حتى لو افترضنا أنه يختلف عن الآخرين ، وأنه نجح فى

(*) راجع قصة (وكر الإرهاب) .. المغامرة رقم (٨٠) .

القرار ، من انفجار هائل كهذا .. أين ذهب إذن ، طوال الفترة الماضية ؟.. أين كان ؟ ولماذا لم يعلن عن وجوده على قيد الحياة ؟

قال المدير فى ارتياح :

ـ سيخبرنا عن هذا بنفسه ، بعد أن يتمّ العملية .

حدّق الرجل فى وجه المدير لحظات فى دهشة ، ثم قال فى حذر :

ـ سيّدى .. لست أتفق معك فى هذا .

أجابه المدير فى هدوء :

ـ ولا أى شخص آخر .. الجميع يرفضون مجرّد التفكير فى الأمر ، والبعض يعتبرنى معتوهًا ، لإيمانى بالفكرة .

ارتبك رئيس قسم العمليات الخارجية ، وهو يقول فى حرج :

ـ عفوًا ياسيّدى .. إننى ..

قاطعه المدير بإشارة من يده ، وهو يواصل بنفس الهدوء والثقة :

ـ الشىء الذى لا يفهمه أحد منكم يا عزيزى ، هو أننى رجل عملى ، يفرض على موقعى هذا ضرورة النظر إلى كل الأمور بجدية وحيادية كاملة ، واتخاذ القرار الحاسم ، بناء على ما لدى من معلومات ، بغض النظر عن منطقية الأمور وعدم منطقيتها ،

فالخصم قد يحاول إرباكك أحيانًا ، بترتيب الأمور على نحو يخالف منطقك ومنطقه .. ومن هذا المنطلق ، قرأت التقرير جيدًا ، وربطته بعدد آخر من الأحداث ، مثل اتصال (منى) بـ(قدرى) عبر المحيط ، ثم سفر (قدرى) المباغت إلى (المكسيك) ، وبعدها اتخذت قرارى ، الذى أؤمن به تمام الإيمان .

واعتدل فى مقعده ، وأضاف فى حزم :

ـ وكل المعلومات تشير إلى أن (أدهم صبرى) على قيد الحياة ، وإلى أنه يعمل ـ كالمعتاد ـ من أجل وطنه .. من أجل (مصر) .

لم يكن يدرك لحظتها كم هو على حق ، كما لم يكن يعلم أن (سونيا جراهام) قد قرّرت دخول اللعبة بكل قوتها ، تصديًا لـ(أدهم) ، الذى اتخذت قرارها ، وهى تجلس أمام (إيزاك باراهودا) ، رئيس مكتب (الموساد) فى (نيويورك) ، بفضح أمر وجوده على قيد الحياة ، ووضعه ـ على الرغم منه ـ على الخط ..

خط المواجهة ..

* * *

كانت (منى) تقاتل فى استماتة ، دفاعًا عن حياتها ، عندما تلقى جسدها رصاصة (هوبا) ..

أصابت الرصاصة تلك العضلة ، التى تربط عنقها بكتفها الأيسر ، واخترقتها ، مع نافورة رفيعة من الدماء ، لتستقر فى رأس المرأة ، التى كانت تهمّ بتحطيم جمجمتها ..

وسقطت المرأة جثة هامدة ، وسقطت فوقها (منى) ، تفاديًا لأية رصاصات أخرى ، فى حين أصيبت (هويا) بالجنون ، لفشلها فى قتل (منى) ، فراحت تصرخ ، وهى تلوّح ببندقيتها :

ـ لن تفلتى أيتها اللعينة .. لن تفلتى .

وفى نفس الوقت اندفعت امرأة أخرى نحو (منى) ، ورفعت هراوتها صائحة :

ـ لقد قتلت (جين) ، وستموتين أيتها الجاسوسة .

تفادت (منى) الضربة بمعجزة ، وطوّحت هراوتها فى وجه المرأة ، بكل ما تملك من قوة ، وسمعت صرختها ، وهى تسقط أرضًا ، فى حين تعالى وقع أقدام (هويا) ، وهى تعدو نحو ذلك الطابق ، وقد انتابها جنون عارم ، يدفعها إلى قتل (منى) ، مهما كان الثمن ..

وترنّحت (منى) وهى تقف ..

كانت تواجه وحدها عالمًا وحشيًا رهيبًا ..

عالمًا من أشرس الوحوش الآدمية ، التى لا تعرف شفقة أو

رحمة ، ولا تتورّع عن سحق طفل رضيع ، لمجرّد أن بكاءه لا يروق لها ..

ولم تكن تدرى كيف تواجه (هويا) ، التى تصعد إليها ببندقيتها ، وهى تكاد تفقد وعيها على هذا النحو ، ولا تملك سوى هراوتها ، التى صارت عاجزة حتى عن حملها ..

وفجأة ، سمعت (سيرينا) ، تصرخ ، على قيد متر واحد منها :

ـ ستموتين أيتها اللعينة .. ستموتين .

أدهشها أن استعادت (سيرينا) وعيها ، مع كل ما أصابها ، فالتفتت إليها فى حدة ، ورأتها تمسك خنجرًا كبيرًا ، وتنقضّ عليها بوجه أغرقته الدماء ، وهى تصرخ :

ـ ستموتين أيتها اللعينة .

رفعت (منى) هراوتها ، لتصدّ هجوم (سيرينا) ، ولكن هذه الأخيرة ركلت الهراوة فى عنف ، وأطارتها من يد (منى) ، ثم اندفعت نحوها ، صارخة :

ـ قلت : ستموتين .

وهوى خنجرها على قلب (منى) ..

ولكن (منى) استجمعت كل قواها ، وانقبضت عضلاتها بكل ما يملأ نفسها من غريزة البقاء ، وأمسكت معصم (سيرينا) ، ثم هوت على وجهها بلكمة قوية ..

وتراجعت (سيرينا) في عنف ، وأفلتت الخنجر على الرغم منها ، ولكنها لم تلبث أن عاودت انقضاضتها على (منى) ، صارخة :

ـ أيتها اللعينة :

قفزت (منى) جانبًا ، لتتفادى انقضاضة (سيرينا) ، التي اختل توازنها واتسعت عيناها في ذعر ، عندما وجدت نفسها تندفع نحو حاجز الشرفة ، وحاولت إيقاف اندفاعها ، ولكنها ارتطمت بالحاجز ، ومال جسدها في قوة ، و ...

وهوت ..

هوت (سيرينا) من الطابق الثاني للسجن ، وارتطم رأسها بالأرض في قوة ، وتفجّرت منه الدماء ، التي صنعت بركة سريعة ، حول جثتها الهامدة ..

وفي نفس اللحظة ظهرت (هويا) ..

ظهرت حاملة بندقيتها ، وصوّبتها إلى (منى) ، وهي تقول في شراسة :

ـ أنت قتلت (سيرينا) ، وتستحقين القتل .

ولم تضف كلمة واحدة ، بل ضغطت زناد بندقيتها ، و ...

وأطلقت النار ..

* * *

تطلّع (إيزاك باراهودا) إلى (سونيا جراهام) في اهتمام كامل وشديد ، وهو يسألها في لهجة أقرب إلى اللهفة :

ـ من هو زوجك يا (سونيا) ؟.. ولماذا تتصوّرين أن ذكر اسمه يستحق كل هذا الاهتمام ؟

ترددت (سونيا) ، وهي تتطلّع إليه ..

لقد قطعت المسافة ، من (كيوتو) إلى (نيويورك) ، وبداخلها رغبة عارمة في الانتقام من (أدهم صبري) وتحطيمه ..

رغبة ولّدها تجاهله لها ، واندفاعه للذود عن غريمتها (منى) ، محطمًا جدران عزلته ، وأسوار السرية ، التي بذلت أقصى جهدها لإحاطته بها ..

كانت تعلم أن عودته إلى عالم المخابرات تعني ضرورة تخلّيه عنها ..

قانون دولته يحتم عليه هذا ..

وهي لا تحتمل فكرة ابتعاده عنها ..

إنها تحبه ..

تعشقه ..

لأوّل مرة في عمرها كله ، تعترف بأن رجلا ملك قلبها ، وخلب لبها ، وبهرها إلى هذا الحد ..

ولكنها تبغض كراهيته لها ..

وحبه لـ (منى) ..

واليوم تفكر فى كشف أمره ، والعمل على تحطيمه ، حتى لا يعود إلى (منى) ..

إنها تفضل هذا ..

تفضل أن تخسره هى ، وتخسره (منى) أيضًا ، على أن تربحه (منى) وحدها ..

نفس مبدأ (شمشون) .. (*)

علىّ وعلى أعدائى ..

«من هو يا (سونيا) ؟!..» .

كرّر (إيزاك) سؤاله فى إلحاح ، فرفعت رأسها إليه فى توتر ، وتطلّعت إليه لحظة فى صمت ، بعد أن انتزعها من أفكارها ، ثم قالت فى عصبية :

ـ إنه شخص بالغ الأهمية والخطورة ، كان الجميع يتصوّرون أنه لقى مصرعه ، ولكن الحقيقة أنه على قيد الحياة .

ارتفع حاجبا (إيزاك) ، فى دهشة وذعر ، ثم مال نحوها أكثر ، وهو يسألها فى لهجة متوترة :

(*) (شمشون) : بطل يهودى ، كان يمتلك قوة خارقة ، تكمن فى شعره ، ثم خدعته الفتاة (دليلة) ، وجعلته يكشف سر قوته ، فحلق الأعداء شعره ، وفقد قوته ، ولكنه استعادها قبيل إعدامه ، وهدم المعبد على رأسه وعلى رءوس الجميع ، صارخًا .. «علىّ وعلى أعدائى» .

ـ من هو يا (سونيا) ؟.. من ؟

فتحت شفتيها لتنطق بالاسم ، وترددت لحظة ، ثم حسمت أمرها ، وقالت :

ـ إنه ..

قاطعها صوت صارم حازم ، يقول بالعبرية :

ـ أنا .

التفتت مع (إيزاك) إلى مصدر الصوت ، واتسعت عيونهما فى دهشة ..

بل فى ذهول ..

* * *



٢ ـ العـــائد ..

شعر (دانى) بحالة الاضطراب ، التى تسود سجن النساء الفيدرالى ، فور عبور سيارته أسوار السجن ، إلى ساحة انتظار داخلية خاصة ، وتضاعف شعوره هذا ، عندما رافقه حارسان قويان ، إلى حجرة مأمور السجن ، الذى استقبله فى توتر ملحوظ ، وهو يقول :

ـ مرحبًا يامستر (دانى) .. أتعشّم أن تكون هنا لسبب جيّد ، لا يتعلّق بما نعانيه الآن .

سأله (دانى) فى اهتمام :

ـ وما الذى تعانون بالضبط ؟

التقط المأمور نفسًا عميقًا ، قبل أن يقول :

ـ تمرُّد ..

عض شفته ، قبل أن يتابع :

ـ هناك إطلاق نيران ، فى الجناح الثانى ، حيث المسجونات الأكثر خطورة ، ولقد عزل رجالى هذا الجناح ، ويحاصرونه ، ولكننا لم ندرك أبعاد الموقف بعد .

سأله (دانى) فى قلق :

ـ أهو الجناح الذى يضمّ الجاسوسة (هانا دايان) ؟

أومأ المأمور برأسه إيجابًا ، وتنهّد قائلًا :

ـ أخشى أنه كذلك .

التقى حاجبا (دانى) فى توتر ، وهو يقول :

ـ اسمع أيها المأمور .. إننى هنا فى مهمة محدودة ، ألا وهى إخراج الجاسوسة من سجنك ، ونقلها إلى زنزانة خاصة بنا ، فى أحد إدارات جهاز المخابرات ، ولدى أمر من القاضى الفيدرالى بهذا .

قالها وناوله الأمر الزائف ، الذى يحمل موافقة القاضى الفيدرالى ، على نقل (منى) إلى سجن المخابرات المركزية الخاص ، فطالعه المأمور فى سرعة ، وقال فى حنق :

ـ وما المطلوب منى فعله الآن؟

أجابه (دانى) فى عصبية :

ـ أن تسيطر على هذا التمرّد بأقصى سرعة ، وتسلمنى الجاسوسة على قيد الحياة .

هتف المأمور فى عصبية :

ـ حقًا ؟!

ثم انتزع شارته من صدره ، وألقاها أمام (دانى) ، مستطردًا فى غضب ثائر :

- إننى أمنحك شرف تحقيق هذه المهمة البسيطة إذن ، ها هى ذى شارتى .. علقها على صدرك ، وحاول أن تفعل هذا .

قال (دانى) فى عصبية مماثلة :

- إنها مهمتك أنت .

رفع المأمور يده أمام وجهه ، هاتفًا :

- لا يمكننى أن أعدك بهذا .

واستعاد شارته ، وعاد يثبتها على صدره ، وهو يتابع :

- سنسيطر حتمًا على التمرُّد ، أما بشأن جاسوستك ، فما أسعدنى بإلقائها خارج المكان ، بشرط واحد .

واعتدل متابعًا فى صرامة :

- أن نجدها على قيد الحياة ..

* * *

لوهلة ، فقدت (منى) الأمل فى النجاة ، وهى تتطلَّع إلى بندقية (هويا) ، المصوَّبة إلى صدرها ، وإلى سبابتها ، التى تتحرك لاعتصار الزناد ..

ثم لمحت الخنجر ، الذى سقط من يد (سيرينا) ، قبل أن تلقى مصرعها ..

وبكل ما تبقى فى أعماقها من قوة ، ومن رغبة فى العيش ،

قفزت (منى) نحو الخنجر ، فى نفس اللحظة التى أطلقت فيها (هويا) رصاصتها ..

وعبرت الرصاصة فوق رأس (منى) ، وهى تلتقط الخنجر ، وصرخت (هويا) فى غضب :

- لم تنفد رصاصاتى بعد .

صوَّبت بندقيتها مرة أخرى إلى (منى) التى التقطت الخنجر ، واعتدلت فى حركة حادة ، ثم قذفته نحو (هويا) ، التى أطلقت رصاصتها الثالثة ، فى الوقت ذاته ..

وشعرت (منى) بخيط من النار يخترق جانب بطنها ، وتناهى إلى مسامعها صوت آهة ألم ، أطلقتها (هويا) ..

ثم سقطت (منى) أرضًا ..

لم تعد تملك القوة على مواصلة القتال ، وقد اصطبغ كل شىء أمامها بلون الدم ..

ومن بعيد رأت (هويا) تتشبَّث بحاجز الشرفة ، وقد اخترق الخنجر صدرها ، بالقرب من موضع القلب ، وشحب وجهها ، وهى ترفع بندقيتها نحوها ، هاتفة فى صوت متهالك :

- لم تربحى المعركة بعد أيتها الجاسوسة .

ثم ارتفع صوت يهتف :

- توقفى يا (هويا) .. لم يعد هناك مبرر لإطلاق النار .



ومن بعيد رأت (هويا) تتشبث بحاجز الشرفة، وقد اخترق الخنجر صدرها..

ولكن (هويا) تجاهلت الصيحة تمامًا، وصوّبت بندقيتها إلى (منى) في عناد، وضغطت الزناد..

وسمعت (منى) صوت الرصاصات، تتردّد في المكان..

ثم أظلمت الدنيا أمام عينيها..

وانتهى كل شيء..

★ ★ ★

ارتسم الذهول بكل سماته، على وجه (إيزاك)، وهو يحدّق مع (سونيا) في ذلك القادم، الذي بدا قويًا، متين البنيان، وقد أخفى وجهه بقناع سميك، لا يبرز سوى عينيه، وهتف (إيزاك):

- كيف؟.. كيف دخلت إلى هنا؟

أجابه المقنّع بالعبرية:

- لدى أساليبي.

ارتفع حاجبا (سونيا) في دهشة، قبل أن يلتقيا، وهي تتمتم في حقد:

- يا لك من داهية!

أما (إيزاك)، فعاد يحدّق في وجه الرجل، هاتفًا في ذهول:

- ولكن هذا الصوت.. إنني أعرف من أنت.. إنك..

قاطعه المقنّع في صرامة :

ـ لا تظن نفسك ذكيًا إلى هذا الحد .

لوّح (إيزاك) بذراعه ، هاتفًا :

ـ ولكننا جميعًا نعلم أنك لقيت مصرعك في ...

قاطعه المقنّع مرة أخرى في صرامة :

ـ قلت لك : لا تظن نفسك ذكيًا .

انتزعت (سونيا) نفسها من دهشتها ، وقالت :

ـ لا تجعله يخدعك يا (إيزاك) .. إنه ليس من تظن .. إنه ..

قاطعها المقنّع في حزم مخيف :

ـ اصمتي .

ولكنها قفزت من مقعدها ، واندفعت نحوه ، هاتفة :

ـ بل سأكشف سرك ، وسأمنعك من خداع الجميع ، و ...

أمسكت قناعه في هذه اللحظة ، وانتزعته عن وجهه ، فتراجع (إيزاك) كالمصعوق ، وهتف :

ـ إنه أنت بالفعل .

ولكن الرجل تحرّك في سرعة مدهشة ، وهوى على فك (إيزاك) بلكمة كالقنبلة ، هاتفًا :

ـ من سوء حظك .

أصابت اللكمة (إيزاك) ، ودفعته إلى الخلف في عنف ،

فارتطم بأحد مقاعده ، وسقط أرضًا فاقد الوعي ، في حين حدّقت (سونيا) في وجه (أدهم) ، وهتفت :

ـ يا لك من داهية !.. كيف فعلت هذا ؟

ابتسم في سخرية ، وقال :

ـ أنسيت أنني أعرف أساليبك جيدًا ، يا زوجتي العزيزة .. لقد علمت بقدومك إلى هنا ، وأدركت أنك ستحاولين كشف أمري ، انتقامًا مني ، بعد أن تركتك من أجل (منى) ؛ لذا فقد تسللت إلى هنا ، وأوقفتك ، قبل أن تكشفي أمري ، وتفسدي خطتي كلها .

هتفت في شراسة :

ـ لن أغفر لك ما فعلته بي أبدًا .

قال في صرامة :

ـ فيما بعد يا زوجتي العزيزة .. فيما بعد .. سنغادر هذا المكان أولًا ، ثم نحل مشاكلنا العائلية خارجه .

قالت في حدة :

ـ أتظن الخروج من هنا سهلًا ؟

أجابها في سخرية :

ـ بالطبع .. لقد أخليت الساحة الخارجية من بني قومك ، وأفسدت عمل آلات التصوير والمراقبة ، وإلا فكيف تظنينني دخلت إلى مكتب صديقنا (إيزاك) ؟

قاومته هاتفة :

ـ لن أرافقك إلى الخارج ..

أمسك معصمها في عنف ، وهو يقول في صرامة :

ـ بل ستفعلين يا عزيزتي (سونيا) ، وعلى الرغم من أنفك .

وبحافة يده ، ضرب مؤخرة عنقها ضربة فنية خفيفة ، في موضع انتقاه في عناية ، فحدقت في وجهه لحظة في ذهول ، ثم سقطت بين ذراعيه فاقدة الوعي ..

وفي هدوء ، غادر (أدهم) مبنى الملحق العسكري الإسرائيلي ، حاملًا (سونيا) الفاقدة الوعي ، وتاركًا خلفه نهرًا من الغضب ..

ومن الدهشة ..

* * *

لم يكد (داني) يدخل حجرة مكتب (فوستر) ، حتى سأله هذا الأخير ، في اهتمام بالغ :

ـ هل أحضرتها ؟

هزّ (داني) رأسه في أسف ، وهو يقول :

ـ لم أستطع هذا .

هبّ (فوستر) من خلف مكتبه ، صائحًا :

ـ كيف ؟.. هل رفضوا تسليمها إليك ؟

أجابه (داني) في بساطة :

ـ لم يفعلوا ، ولكن هذه الشيطانة أشعلت السجن كله ، وتسببت وحدها في مصرع سجينة عتيدة ، وحارسة من حارسات السجن ، وحطمت رءوس خمس نساء أخريات .

هتف (فوستر) في دهشة :

ـ وحدها ؟!.. هل قاتلتهم مباشرة ؟

أجابه (داني) :

ـ هذا صحيح ، بالنسبة للسجينات الست ، أما بالنسبة للحارسة (هويا) ، فقد أطلقت نيران بندقيتها على الجاسوسة ، وأصابتها بطلقة في عضلة العنق الكتفية ، ولكن الجاسوسة قذفتها بخنجر ، أصاب جدار قلبها ، وتسبب في مصرعها ، بعد إصابتها بعدة دقائق ، كادت خلالها تقتل الجاسوسة ، لولا أن أطلق بعض الحرّاس الآخرين رصاصاتهم على بندقيتها ، فأطلقت صرخة تفيض بالمرارة ، وسقطت جثة هامدة ، في حين ..

قاطعه (فوستر) في حنق :

ـ هل سأستمع إلى قصة حياتك كلها ؟.. أتظن نفسك معلقًا رياضيًا ؟!.. أخبرني لماذا لم تستطع إحضار (هانا) فحسب .

زفر (داني) في حنق ، وقال :

ـ لقد نقلوها إلى المستشفى المركزى ، فقد فقدت وعيها ، بعد إصابتها بعدة ضربات ، وبرصاصة الحارسة القتيلة .

عقد (فوستر) حاجبيه ، وهو يسأله :

ـ ولماذا المستشفى المركزى ؟.. ألم يكن من الممكن أن يتم علاجها فى الجناح الطبى بالسجن ؟

أجابه (دانى) :

ـ أنا الذى طلب هذا .

تطلّع إليه (فوستر) فى تساؤل ، فأضاف :

ـ كان المفروض أن أتسلّمها ، لتنقلها إلى سجننا الإليكترونى الخاص هنا ، ولكن هذا صار مستحيلًا ، بعد إصابتها ، وحاجتها إلى رعاية طبية خاصة ، لذا فقد طلبت نقلها إلى المستشفى المركزى ، ووضعت خمسة من أفضل رجالنا لحراستها ، وأمرتهم ألا يسمحوا لغير الأطباء المعالجين ، وأنت ، وأنا بزيارتها .

قال (فوستر) فى حدة :

ـ ولماذا لم تضف فريق البيسبول الوطنى(*)، وفرقة من

(*) البيسبول : رياضة نشأت فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وهى تحتاج إلى ملعب معين الشكل ، وإلى فريقين ، يحوى كل منهما تسعة لاعبين ، وفيها يقوم كل فرد من أفراد الفريق بضرب الكرة مرة ، والجرى حول أركان الملعب ، فى حين يحاول الفريق المنافس التقاطها ، وتنتهى اللعبة بإخراج أفراد أحد الفريقين ، وإحراز أكبر قدر من النقاط .

مشاة البحرية ؟! .. هل أصابتك الحماقة إلى هذا الحد ؟.. أنسيت أن الشخص ، الذى نسعى لاقتناصه ، يمكنه أن يتنكّر فى هيئة أحد الأطباء المعالجين ، ويصل إليها تحت أنوفنا ؟

ابتسم (دانى) ، وقال :

ـ لا .. لم أنس هذا أيها الرئيس ، لذا فقد استعرت جهازًا إليكترونيًا لتحقيق الشخصية ، من قسم الابتكارات ، وهو يعتمد على فحص بصمات اليد ، ودرجة حرارة الأصابع ، بحيث لا يستطيع أى شخص خداعه ، حتى ولو ارتدى على أصابعه بعض البصمات المطاطية الصناعية .

اعترف (فوستر) فى أعماقه ، بأن (دانى) أجاد اللعبة هذه المرة ، وعلى الرغم من هذا ، فقد قال فى صرامة :

ـ أتعشّم أن يكفى هذا ، عندما يظهر خصمنا فى الساحة .

سأله (دانى) فى اهتمام :

ـ أتظنه سيخاطر بالظهور ، على الرّغم من كل هذا ؟

ارتسمت ابتسامة ناعسة على شفتى (فوستر) ، وهو يجيب :

ـ ثق أنه سيفعل يا رجل .. بل ربما كانت كل هذه التعقيدات هى دافعه للظهور ، ومحاولة استعادة زميلته ، فلو أننا نقاتل الشخص نفسه ، الذى أظننا نقاتله ، فسيدفع المستحيل بالحماس والقوة إلى عروقه ، ويدفعه إلى تحديه ، فحتى آخر لحظة فى

حياته العملية ، المسجَّلة لدينا هنا ، كان يحمل ذلك اللقب ، الذى كنتم تحسدونه عليه دائمًا .

وأرخى جفنيه ، وهو يضيف :

ـ لقب (رجل المستحيل) .

وارتجفت الدماء فى عروق (دانى) ..

* * *

استعادت (سونيا) وعيها فى بطء ، وتطلَّعت لحظة إلى المكان المحيط بها ، ثم لم تلبث عيناها أن اتسعتا فى شدة ، وهى تعتدل فى مجلسها بحركة حادة ، وتهتف :

ـ ما هذا ؟.. من أتى بى إلى هنا ؟

كانت تجلس على مقعد وثير ، داخل طائرتها الخاصة الصغيرة ، ذات المقاعد الأربعة ، والتى كانت تحلق فى السماء بالفعل ..

وقبل أن تستوعب الأمر ، فتح الطيَّار باب كابينته الصغيرة ، فى مقدمة الطائرة ، وابتسم قائلًا :

ـ طاب مساؤك ياسنيورا (نورما) .. يسعدنى أن استعدت وعيك بهذه السرعة .

صاحت به فى غضب :

ـ من الذى أتى بى إلى هنا ؟

ارتبك الطيَّار ، وأجاب :

ـ السنيور (أميجو) ياسنيورا .. لقد أحضرك بنفسه إلى هنا ، وأمرنى بنقلك مباشرة إلى المزرعة ، فى (كيوأوا) ، وأخبرنى أنك أسرفت فى الشراب ، فى حفل خاص ، وأنه سيلحق بك بعد يومين على الأكثر ، و ...

بتر عبارته أمام نظراتها الغاضبة الصارمة ، وارتبك أكثر ، وهو يقول :

ـ أهناك خطأ فى هذا ياسنيورا ؟

جاء صوتها محنقًا صارمًا ، وهى تجيب :

ـ نعم يارجل .. هناك خطأ .. خطأ كبير .

بدا القلق على وجه الطيَّار ، وغمغم :

ـ معذرة ياسنيورا ، ولكننى نفذت أوامر السنيور (أميجو) ، و ...

قاطعته فى صرامة :

ـ لا تتدخل فيما لا يعنيك يارجل ، وواصل رحلتك إلى (كيوأوا) .

لم يفهم الطيَّار ما يحدث ، ولكنه أسرع يُغلق باب كابينته ، ويواصل رحلته ، فى حين بدا مزيج من الغضب والحنق على وجه (سونيا) ، وهى تقول لنفسها :

- حسنًا يا (أدهم) .. لقد أقسمت أن أجعلك تندم على ما فعلت ، عندما تركتني من أجل حبيبتك القديمة ، ولن أحنث بقسمي أبدًا .. وستندم يا (أدهم) .. ستندم عندما نعود .

وتطلّعت من النافذة إلى السماء المظلمة ، وهي تستطرد بكل الوحشية والشراسة في أعماقها :

- وهذا وعد .

وارتجّت السماء بقهقهة الشيطان .

* * *



٣ - المحامي ..

« فضيحة .. »

نطق القنصل الإسرائيلي الكلمة في غضب واضح شديد ، قبل أن يضيف في حدة وصرامة :

- فضيحة على أي مقياس أمني أو سياسي يا (إيزاك) .. كيف يمكن لشخص واحد ، أن يقتحم المبنى ، ويفسد أجهزة المراقبة ، ويتسلل إلى حجرة مكتبك ، ويختطف واحدة من أشهر أفراد مخابراتنا السابقين ، ويخرج بها من هنا ، دون أن تواجهه مشكلة واحدة ؟!..

كيف ؟

زفر (إيزاك) في عمق ، وقال :

- أعلم أن هذا ليس بالأمر الهيّن أو السهل ، ولكن الشخص الذي فعل هذا ، ليس شخصًا عاديًا ، على أي مقياس أمني أو سياسي .

هتف القنصل في غضب :

- لماذا ؟.. أهو (سوبرمان) نفسه ؟

أجاب (إيزاك) ، والانفعال يملأ كلماته :

- (سوبرمان) شخصية خيالية ياسيدي .. أما ذلك الرجل ،

فهو شخصية حقيقية ، كنا نظن أن صاحبها قد لقى مصرعه منذ زمن ، ولكننى فوجئت أمس بأنه ما يزال على قيد الحياة ، وإن كنت أجهل لماذا يخفى أمر بقائه على قيد الحياة !! ولماذا يفعل كل ما يفعل !

جذبت هذه الكلمات انتباه القنصل ، وشحذت حواسه فى شدة ، وهو يسأل (إيزاك) فى حذر :

- عجبًا ! لقد أكد الرجال ، الذين هاجمهم هذا الشخص ، أنه كان يخفى وجهه بقناع سميك ، فكيف تعرَّفته ؟

أجابه (إيزاك) ، وهو يلوِّح بكفه فى انفعال :

- لقد جذبت (سونيا) قناعه ، ولمحت أنا وجهه لحظة ، قبل أن يباغتنى ، ويُفقدنى الوعى .. صحيح أننى تعرَّفت صوته ، منذ سمعته لأوَّل مرة ، ولكن رؤيته أكدت ظنونى ، و ...

قاطعه القنصل فى توتر :

- من هو يا (إيزاك) ؟

التقط (إيزاك) نفسًا عميقًا ، وهو يقول :

- لن تتصوَّر هذا ياسيِّدى القنصل .. لن تصدِّقه أبدًا .

وارتجف صوته ، وهو يستطرد :

- إنه (موشى) .. رجلنا (موشى حاييم دزرائيلى) ..

واتسعت عينا القنصل فى ذهول ..

* * *

جلجلت ضحكة (قدرى) ، وهو يضرب كفًّا بكف ، هاتفًا فى وجه (أدهم) :

- يالك من داهية !.. إنك أنت من يستحق لقب الثعلب ، لا (جيمس فوستر) .. كيف خطرت ببالك هذه الفكرة ؟

أجابه (أدهم) ، وهو منهمك فى صنع تنكره الجديد ، فى عناية فائقة :

- كانت أوَّل فكرة جالت بخاطرى ياصديقى ، فالشخص الوحيد ، الذى يمكن إسباغ كل ما حدث عليه ، هو (موشى دزرائيلى) ، الذى سيبدو زوجًا مناسبًا لـ(سونيا جراهام) ، ورجلًا قادرًا على فعل معظم ما فعلت .

قال (قدرى) فى إعجاب :

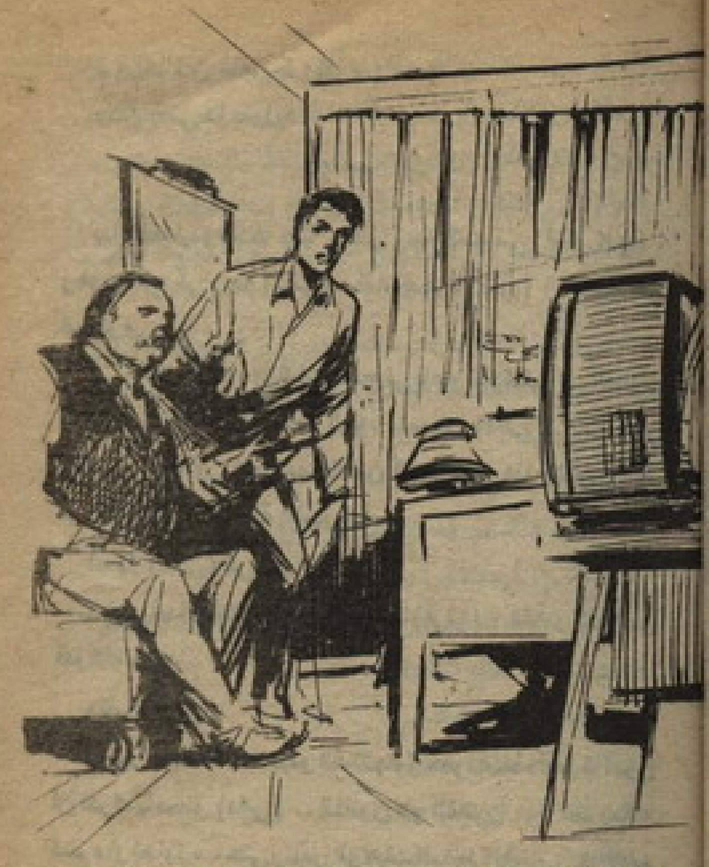
- من الناحية النظرية فحسب ، أما من واقع الأمور ، فكل قدرات (موشى) هذا ، لم تكن تساوى ربع قدراتك الفعلية .

هزَّ (أدهم) كتفيه فى هدوء ، ولم يُعلِّق على عبارة (قدرى) ، الذى تطلَّع إليه لحظة ، قبل أن يقول :

- عجبًا .. إنك معجزة فى عالم التنكر يافتى .. كيف يمكنك تبديل هيئتك على هذا النحو ؟

أجابه (أدهم) فى هدوء وبساطة :

- ربما بسبب خبرتى الطويلة ، فى هذا المجال .



ثم هبّ واقفًا ، وهو يستطرد فى حزم :
ـ لا بد أن أراها يا (قدرى) ، وأن أطمئن عليها ، مهما كان الثمن .

ابتسم (قدرى) وهو يقول :

ـ فقط ؟!

هزّ (أدهم) كتفيه ، دون أن يجيب ، وانحنى ليكمل تنكره أمام المرآة ، عندما وقع بصره على صورة جهاز التلفاز ، المنعكسة على المرآة ، وهى تنقل صورة واضحة لوجه (منى) ، جعله يلتفت إلى التلفاز فى حركة حادة ، هاتفًا بـ(قدرى) :

ـ ارفع الصوت قليلًا يا رجل .. إنهم يتحدثون عن (منى) .

قفز (قدرى) من مقعده ، والتقط جهاز التحكم الآلى (الريموت كنترول) ، وضغط أحد أزراره فى سرعة ، وارتفع صوت التلفاز ، لتنقل المذيعة تفاصيل ما حدث فى السجن النسائى الفيدرالى ، دون أن تشير إلى نقل (منى) إلى المستشفى المركزى ، وإن ذكرت أمر إصابتها ، فغمغم (أدهم) ، وقلبه ينتفض بين ضلوعه فى لوعة :

ـ يا إلهى !.. لقد أصيبت (منى) .

ثم هبّ واقفًا ، وهو يستطرد فى حزم :

ـ لا بد أن أراها يا (قدرى) ، وأن أطمئن عليها ، مهما كان الثمن .

والتقى حاجباه فى صرامة مخيفة ، وهو يكرّر :

- مهما كان الثمن يا (قدرى) .

وكان يعنى ما يقول ..

* * *

بدا الغضب واضحا جليًا ، على وجه المحامى (آرثر كنج) ، وهو يصيح فى وجه (دانى) ، أمام حجرة (منى) ، بالمشتشفى المركزى :

- ما الذى تعنيه ، بأنك لن تسمح لى بزيارة موكلتى ؟.. القانون والدستور لا يمنحانك هذا الحق يامستر (دانى) .. بل على العكس .. القانون نفسه يمنعك من التدخل فى هذا الشأن ، فهو من اختصاص الشرطة الفيدرالية .

أجابه (دانى) فى صرامة :

- لن يفيدك القانون هذه المرة يا (آرثر) ، فالأمر أكبر من قدراتك بكثير .

هتف (آرثر) :

- أكبر من ماذا ؟!.. يبدو أنك تتجاوز حدودك هذه المرة ، دون أن تدرك يامستر (دانى) .. القانون هو القانون .. لا أحد يمكنه كسره أو تجاوزه ، حتى رئيس الولايات المتحدة نفسه .. هل تفهم هذا ؟ ثم إننى غير مقتنع بموافقة القاضى الفيدرالى ، التى قدمتها

لإدارة السجن ، لتسمح لك بنقل موكلتى إلى هنا .. لا يمكن أن يصدر القاضى الفيدرالى أمرًا يخالف القانون ، على هذا النحو الصريح .. ألا يمكن أن يكون هذا الأمر زائفًا يامستر (دانى) .

شعر (دانى) بالقلق ، عندما طرق (آرثر) هذه النقطة ، خشية أن يكشف المحامى أمر التصريح الزائف ، فقال محاولاً تلطيف الموقف :

- أعلم تمامًا أنه لا يمكننى منعك من زيارة موكلتك يامستر (آرثر) ، وإنما كنت أقصد أنها الآن فى غيبوبة عميقة ، فما الذى تفيده من رؤيتها ؟

أجابه (آرثر) فى عناد :

- ليس من حقك معرفة الغرض من زيارتى .

هتف (دانى) فى حماس مفتعل :

- بالطبع .. إنك تستطيع زيارتها ، حتى ولو كانت ترقد فى قبر عميق .. هذا حقك القانونى .

وتردد لحظة ، ثم أضاف :

- ولكنْ هناك إجراء بسيط .

أجابه المحامى فى صرامة :

- سأعترض عليه ، لو لم يكن قانونيًا

هزّ (دانى) كتفيه ، وقال :

- إنه مجرد إجراء أمني .

بدا الحذر على وجه المحامي ، وهو يقول :

- إجراء أمني ؟!.. أي إجراء هذا ؟

أجابه (داني) ، وهو يشير إلى جهاز فحص البصمات الإليكتروني :

- سنحصل على بصماتك فحسب ، لنسجلها في هذا الجهاز ، حتى يمكنك الدخول لزيارة موكلتك ، في أية لحظة .

تطلع المحامي إلى الجهاز في شك حذر ، وسأل (داني) في خبث :

- هل فعلت أنت هذا ؟

أجابه (داني) مبتسمًا ، وهو يشير إلى رجاله الخمسة :

- إنني الرئيس المباشر لهؤلاء العمالقة ، الذين تراهم أمامك ، ولا يمكنهم أن يخطئوا أبدًا ، وهذا ينطبق على مستر (فوستر) ، فهو رئيس رئيسهم .. أما أنت ..

اعتدل (آرثر) في حزم ، وهو يقول مقاطعًا (داني) :

- لن أمنحكم بصماتي إذن .

تراجع (داني) في دهشة ، وقال :

- لماذا ؟!.. هذا لن ...

قاطعه مرة أخرى في عصبية :

- إذا كنت أنت رئيس هذه الحفنة من العضلات ، ومستر (فوستر) رئيس رئيسهم ، فأنا محامي هذه الفتاة ، التي ترقد داخل الحجرة ، والوحيد الذي يمتلك حقًا قانونيًا في مقابلتها ، في أية لحظة ، ما دام ..

قاطعه (داني) هذه المرة ، وهو يقول :

- حسنًا .. حسنًا .. لقد اقتنعت بوجهة نظرك .. يمكنك زيارة موكلتك .

ابتسم (آرثر) في ظفر ، وقال :

- بالتأكيد .

وشد قامته في اعتداد ، واتجه بخطوات واثقة نحو الحجرة ، وفتح بابها في قوة ، ثم التفت إلى الجميع ، قائلًا في صرامة :

- لا أريد أية مقاطعات .

ودلف إلى الحجرة في حركة سريعة ، وأغلق بابها خلفه في إحكام ، وأسند ظهره إليه ، وراح يتطلع إلى (منى) ، الراقدة على الفراش الأبيض الصغير ..

كانت صورة مجسمة للرقة والنعومة ، حتى وهي ترقد فاقدة الوعي ، داخل حجرتها المحدودة ، التي أضاف إليها رجال المخابرات الأمريكية قضبانًا فولاذية ، تمنع أي مخلوق من الدخول إليها ، أو الخروج منها ..

ولثوان ، ظل (آرثر) يتطلع إلى (منى) فى صمت ، ثم غادر موقعه ، واتجه إلى فراشها فى بطء ، وانحنى يراقب وجهها فى سكون دام لحظات طوالاً ، حتى بدا خلاله أشبه بتمثال من الرخام ، قبل أن يُقدم على أغرب عمل يمكن للمرء توقعه ..

لقد انحنى ، وطبع قبلة حانية على جبهة (منى) ، ثم اعتدل ، وتطلع إليها لحظة أخرى ، وغادر الحجرة على الفور ..

ودون كلمة واحدة ..

* * *

«أرأيت ما فعله ؟..»

نطق (فوستر) العبارة فى حماس وانفعال ، وهو يراقب مع (دانى) فيلمًا سينمائيًا ، التقطته آلة تصوير خفية فى حجرة (منى) ، ثم أضاف فى ارتياح :

- هذا يثبت أنه هو ، وأن هذه الفتاة هى زميلته (منى توفيق) ، كما قال ذلك المأمور (إيزاك) .

وأطلق من أعماقه زفرة حارة ، وكأنما يُعلن قرب نهاية الصراع ، قبل أن يستطرد فى حزم :

- أما زال رجالك يراقبونه يا (دانى) ؟

أومأ (دانى) برأسه إيجابًا ، وقال :

- إنهم يحيطون بمكتبه ، إحاطة السوار بالمعصم ، منذ عاد إليه ، وينتظرون إشارة واحدة منى ، لينقضوا عليه .

أشار إليه (فوستر) ، قائلاً :

- هذه العملية تحتاج إلى وجودك شخصيًا يا (دانى) .. هيا .. اذهب إليهم ، وهاجموا ذلك الرجل على الفور ، واحضروه إلىّ حيًا .

ابتسم (دانى) ، وهو يقول :

- سنفعل أيها الرئيس .

واستدار مغادرًا الحجرة ، ولكنه لم يكد يفتح بابها ، حتى استوقفه (فوستر) ، قائلاً :

- (دانى) .

التفت إليه الرجل ، فتابع مبتسمًا :

- لن يحزننى كثيرًا ألا تأتوا به حيًا .

اتسعت ابتسامة (دانى) ، وهو يقول :

- هذا يجعل مهمتنا أكثر سهولة أيها الرئيس .

وفى سيارته ، كانت ابتسامته تشمل وجهه كله ، وهو يتصور نفسه وقد صرع الرجل ، الذى أذل ناصية أقوى أجهزة المخابرات فى العالم ، ولم يكد يبلغ موقع مكتب (آرثر) ، حتى أوقف

سيارته ، وهبط منها ، واتجه إلى أحد رجاله ، الذين يراقبون المكان ، وسأله :

ـ أما يزال هناك ؟

أومأ الرجل برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ لم يغادر مكتبه ، منذ عاد من المستشفى .

ربَّت (دانى) على كتف الرجل ، قائلًا :

ـ رائع .. سيفاجئه هجومنا إذن .. هيا بنا .

تحرَّك الجميع نحو البناية ، وأجبروا حارسها على فتح الأبواب ، ثم استقلَّ (دانى) المصعد ، بصحبة اثنين من رجاله ، فى حين صعد الثلاثة الآخرون فى درجات السلم ، و ...

واقتحم الخمسة المكتب فى آن واحد ، على نحو جعل (آرثر) يهبّ من خلف مكتبه ، هاتفًا :

ـ ما هذا ؟.. كيف تجرءون على اقتحام مكتبى هكذا ؟

ولكن الرجال الخمسة انقضوا عليه فى آن واحد ، و (دانى) يهتف بهم :

ـ لا تسمحوا له بالفرار .

قفز (آرثر) من خلف مكتبه ، وركل أقرب مهاجميه فى صدره ، ثم دار على عقبيه ، ولكم الثانى فى فكه ، إلا أن الثالث والرابع هاجماه من الخلف ، فى حين لكمه الخامس فى معدته بقوة ، جعلته يتأوَّه ، قبل أن يتلقى ضربتين عنيفتين فى صدره وفكه ،

أسقطتاه فوق مكتبه ، فى نفس الوقت الذى ارتفعت فيه فوهات المسدسات فى وجهه ، وهتف (دانى) ظافرًا :

ـ لقد خسرت .

ثم اندفع نحوه ، وجذب لحيته ، وهو يستطرد :

ـ هيا .. اكشف عن وجهك الحقيقى .

أطلق (آرثر) صرخة ألم ، وصاح فى غضب :

ـ ماذا تفعل أيها الأحمق ؟.. أكل هذا من أجل لحيتى ؟

تراجع (دانى) كالمصعوق ، وحدَّق فى وجهه بدهشة ، هاتفًا :

ـ ولكن .. ولكنها لحية حقيقية !

صاح (آرثر) :

ـ بالتأكيد أنها كذلك .. ما الذى يدعونى لوضع لحية مستعارة ؟

فتح (دانى) شفتيه ، وهمهم بعبارة مبهمة ، ثم لم يلبث أن ترك جسده يهوى ، فوق أريكة جانبية ، وهو يردِّد :

ـ بالشيطان !! إنها حقيقية !

هتف (آرثر) محنقًا :

ـ أى عجب فى هذا ؟

حدَّق (دانى) فى وجهه لحظة فى ذهول ، ثم هبَّ من مقعده ، واختطف سمَّاعة الهاتف فى حركة حادة ، وقفزت سبابته تضرب الأزرار فى سرعة محمومة ، ولم يكد يسمع صوت (فوستر) ، حتى هتف :

- لقد أخطأنا ياسيدى .. إنه (آرثر) .. لا .. ليس غريمنا متنكرا ..

إنه ا(آرثر) بشحمه ولحمه .. نعم ياسيدى .. لقد تأكدت بنفسى بالطبع .. لحيته حقيقية .. نعم .. جذبتها بنفسى .

صاح (آرثر) :

- ما الذى يحنقكم بشأن لحيتى ؟.. إنها فى موضعها هذا ، منذ أكثر من عشر سنوات ، ولم تثر دهشة أحد .

تجاهله (دانى) تماما ، وهو يستمع إلى (فوستر) فى اهتمام ، قبل أن يقول :

- نعم ياسيدى .. نعم .. سأحضره بنفسى .

ثم أنهى المحادثة ، وقال لـ(آرثر) فى صرامة :

- معذرة لما حدث يا مستر (آرثر) .. إنه خطأ غير مقصود .

هنا فقط خفض رجاله فوهات مسدساتهم ، التى كانت مصوبة إلى رأس (آرثر) ، فصاح المحامى محنقًا :

- غير مقصود ؟!.. اتقتحمون مكتبى ، و ...

قاطعه (دانى) فى صرامة :

- وأظننا سنصحبك معنا يا مستر (آرثر) ، فالسيد (فوستر) يريد التحدث معك الآن .

قال (آرثر) فى غضب :

- لن أذهب .

عادت فوهات المسدسات ترتفع فى وجهه ، فاستطرد فى سرعة :

- ليس قبل أن أرتدى سترتى .

أشار (دانى) إلى رجاله بخفض مسدساتهم ، وهو يقول :

- حسنًا .. أسرع بارتدائها ، وهيا بنا ، فلن يحتمل مستر (فوستر) الانتظار طويلًا .

قال (آرثر) فى عصبية :

- إنها فى الحجرة المجاورة .. حجرة سكرتيرتى .. سأرتديها ، وأطلب من السكرتيرة إرجاء بعض المواعيد العاجلة ، وأعود على الفور .. هل يمكننى هذا ، أم أننى رهن الاعتقال ؟

أجابه (دانى) فى حدة :

- بل يمكنك هذا ، ولكن أسرع .. أسرع وإلا قتلتك بلا رحمة .

غاب (آرثر) فى الحجرة المجاورة ، فى حين عاد (دانى) يلقى جسده على الأريكة ، وهو يُطلق زفرة قوية عنيفة ..

لقد أدرك أنه يقاتل خصمًا قويًا بالفعل ..

خصمًا له دهاء الثعالب ، وقوة الأسود ، وذكاء الذئاب ..

ومع خصم كهذا لاينبغى لك أن تغلق عينيك ، مهما طال الليل ، وإلا فالمصير الوحيد أمامك هو الهزيمة ..

أو الموت ..

٤ ـ من نقــاتل ..؟

نقر القنصل الإسرائيلى سطح مكتبه فى عصبية واضحة ، وهو يتطلّع إلى (إيزاك) فى صمت ، ثم قال فى حزم :

ـ مستحيل يا (إيزاك) !.. مستحيل أن يكون خصمنا هو (موشى دزرائيلى) ، فالمفروض أن يعمل (موشى) إلى جانبنا ، لا ضدنا .

قال (إيزاك) فى حماس :

ـ ربما يتصوّر أنه يعمل لحسابنا بالفعل ، بإتقاذه من يتصوّر أنهم يعملون لصالح (الموساد) ، أما لماذا يخفى أمر وجوده على قيد الحياة ، فهذا ما أحاول فهمه ، ولكننى أشعر بالحيرة تجاهه .

ضرب القنصل سطح مكتبه بقبضته فى عنف ، قائلاً :

ـ قلت لك مستحيل !

ثم مال إلى الأمام ، مستطردًا فى حدة :

ـ والسبب الثانى لاستحالة هذا ، هو أننى تسلّمت بنفسى جثة (موشى) ، بعد أن لقى مصرعه فى (ألمانيا الشرقية)(*).

(*) راجع قصة (الجحيم المزدوج) .. المغامرة رقم (٦٧) .

وليس لدى أدنى شك فى أمر مقتله ، والموتى لا يعودون إلى الحياة يا (إيزاك) .. أليس كذلك ؟

بهت (إيزاك) ، وسقط فكه السفلى كالمعتوه ، وهو يحدّق فى وجه القنصل ، قبل أن يرتد فى ارتباك وحيرة :

ـ ولكننى رأيته بنفسى ، وسمعت صوته ، و ...

قاطعه القنصل فى حزم :

ـ هذا يضعنا أمام احتمال آخر ، أكثر خطورة .

سأله (إيزاك) :

ـ ما هو ؟

التقى حاجبا القنصل ، وهو يقول :

ـ من فى رأيك يفوق (موشى دزرائيلى) قوة وقدرة ومهارة ، ويمكنه فى الوقت نفسه انتحال شخصيته ، وإقناع الجميع بهذا فى براعة منقطعة النظير ؟

سرت قشعريرة باردة فى جسد (إيزاك) ، وهو يقول بصوت مرتجف ، وعينين زائغتين :

ـ ولكن هذا مستحيل أيضًا !

قال القنصل فى حزم :

ـ وعلى الرغم من استحالته ، فلا يوجد لدينا تفسير منطقى سواه .

واعتدل فى مجلسه ، مستطردًا :

ـ إننا نقاتل عدونا اللدود ، وخصمنا القديم بارجل .. نقاتل (أدهم) .. (أدهم صبرى) .

وتحولت قشعريرة (إيزاك) إلى ارتجافة قوية .. ارتجافة رعب ..

* * *

«إنكم تخالفون القانون ..»

صرخ (آرثر) بهذه العبارة ، فى وجه (فوستر) ، وهو يقف وسط حجرة مكتب هذا الأخير ، فأجابه فى صرامة باردة :

ـ لا ترفع صوتك يامستر (آرثر) ، فأنا أبغض أصحاب الصوت المرتفع ، وأعتبرهم أكبر حمقى فى العالم .

هتف (آرثر) :

ـ وعلى الرغم من هذا ، فأنتم ترتكبون الحماقة الكبرى ، وتحتجزون متهمة بدون وجه حق ، كما تراقبون حجرتها بأجهزة التصوير والتصنت ، دون إذن من القاضى ، و ...

قاطعه (فوستر) بغتة :

ـ لماذا قبلت جبهتها ؟

بتر (آرثر) عبارته ، وحدق فى وجهه لحظة ، ثم تنحنح فى حرج ، وقال :

ـ ليس هذا من شأنك .

رمقه (دانى) بنظرة صارمة ، وتحسس موضع مسدسه ، فأسرع (آرثر) يستدرك فى ارتباك :

ـ كانت تبدو شديدة الرقة .. هذا كل ما هناك .

هتف (فوستر) محنقًا :

ـ فقط ؟!

أجابه (آرثر) متوترًا :

ـ نعم .. هذا هو السبب الوحيد .. أقسم لكم .

هزّ (فوستر) رأسه فى حنق ، وهتف :

ـ يالك من تافه !

عدّل (آرثر) وضع رباط عنقه ، وهو يقول فى توتر :

ـ ليس من حقك التدخل فى شئونى .. إنها موكلتى ، وأطالب برؤيتها مرة أخرى الآن ، بعد أن ترفعوا كل أجهزة التصنت والتصوير من حجرتها ، وسأستصدر أمرًا من القاضى بهذا .

لم يكن (فوستر) يرغب حقًا فى توسيع دائرة تورّطه فى الأمر ؛ لذا فقد لوّح بذراعه ، وهو يقول فى حدة :

ـ لك هذا .. هيا .. اصحبه يا (دانى) إلى حيث يريد .. هيا .

صحب (دانى) (آرثر) خارجًا ، وبقى (فوستر) وحده فى حجرته ، وهو يعقد حاجبيه ، ويفكر فى عمق شديد ..



أدهشها استخدامه للفظ الأخير ، فتطلعت إلى وجهه فى حيرة ..

كان هناك شىء ما يقلقه ، فى هذا الأمر كله ..

شىء لا يروق له ..

لا يروق له أبدًا ..

* * *

كانت (منى) قد استعادت وعيها ، عندما وصل (آرثر) و (دانى) إلى حجرتها ، ولقد استقبلتهما فى برود ، وهى تقول بالانجليزية :

ـ أما زلت راغبًا فى الدفاع عنى يامستر (آرثر) ؟

ابتسم (آرثر) ، وهو يقول :

ـ حتى آخر رمق يا أميرتى .

أدهشها استخدامه للفظ الأخير ، فتطلعت إلى وجهه فى حيرة ، فى حين راح رجال (دانى) يعملون فى همة ونشاط ، لرفع أجهزة التصنت والمراقبة من الحجرة ، حتى انتهوا فى سرعة ، وغادروا المكان ، فزفر (دانى) فى توتر ، وقال :

ـ يمكنك أن تجلس مع موكلتك كما تشاء يا (آرثر) .. سأترككما معًا ، و ..

قاطعه (آرثر) فى هدوء :

ـ على العكس يا (دانى) .. سيسعدنى أن تبقى .

سأله (دانى) فى دهشة :

- أنا ؟!.. لماذا ؟

ارتسمت على شفتى (آرثر) ابتسامة ساخرة ، وهو يقول :

- سيفيدنى وجودك كثيرًا .

انتفض جسد (منى) فى شدة ، عندما سمعت هذه العبارة الأخيرة ، التى نطقها (آرثر) ، واتسعت عينا (دانى) فى ذهول ، وهو يحدق فى وجهه ..

هذا لأن العبارة لم تكن تحمل صوت (آرثر) المعتاد ..

بل صوت رجل آخر ..

صوت (أدهم) .. (أدهم صبرى) ..

وفى سرعة ، انتزع (دانى) مسدسه ، وهو يهتف بصوت مختنق :

- يا للشيطان !!.. إنك لست ..

ولكن (أدهم) تحرك فى سرعة مدهشة ، فوثب نحو (دانى) ، وأمسك معصمه بيسراه ، ثم كال له لكمة كالقنبلة بيمناه ، أطاحت به ، وضربت الحائط بجسده ، قبل أن يرتد مرة أخرى ، وقد فقد مسدسه ، فاستقبله (أدهم) بلكمة أخرى أشد قوة ، أسقطته أرضًا ، وهو يطلق آهة مكتومة ..

وبكل اللهفة والحب فى أعماقها ، هتفت (منى) :

- أهو أنت ؟!

كانت تتمنى لو ألقت نفسها بين ذراعيه ، إلا أنه أشار إليها بالصمت ، فبذلت أقصى جهدها لتبقى فى موضعها ، فى حين انحنى هو يجذب (دانى) من شعره الكثيف ، ويجبره على الجلوس ، مسندًا ظهره إلى الحائط ، وهو يصوّب مسدسه إلى رأسه ، قائلًا بابتسامة ساخرة :

- مفاجأة !!.. أليس كذلك ؟

مسح (دانى) خيط الدم ، الذى يسيل من طرف شفتيه ، وقال فى سخط ومرارة :

- ولكن كيف ؟.. لقد جذبت لحيتك بنفسى ، فى مكتب (آرثر) :

أجابه (أدهم) ساخرًا :

- بل جذبت لحية (آرثر) يا رجل ، فاللعبة المزدوجة أربكتكم ، ونجحت فى خداعكم ، وفى إيصالى إلى هنا بهذه البساطة .

غمغم (دانى) وحلقه يغص بالغيظ والحنق :

- كيف ؟

أجابه (أدهم) باللغة الانجليزية ، وابتسامته الساخرة ماتزال متألقة على شفتيه ، ومتناغمة مع صوته :

- كنت أنا الذى حضر فى البداية ، والذى انحنى ليطبع قبلة على جبهة هذه الزميلة .

تمتمت (منى) فى حنان وسعادة :

- أنت فعلت هذا ؟

لم يجب (أدهم) سؤالها ، وإنما واصل بسخريته اللاذعة :

- كنت أعلم أنكم تراقبون المكان ، وأن هذا سيفجّر شكوككم ، وستهاجمون (آرثر) فى مكتبه ؛ لذا فقد زرته هناك ، ولا يمكنك أن تتصور مدى ذهوله ، عندما رآنى أمامه ، نسخة منقولة تمامًا من نفسه ، ولكن المبلغ السخى ، الذى نقدته إياه ، جعله يستوعب الأمر بسرعة ، ثم شرحت له ما عليه أن يفعله ، عندما تهاجمون مكتبه ، وتبادلت ثيابى معه ، وانتظرته فى حجرة سكرتيرته ، التى لم تفهم أبدًا ما يحدث ، وإن لزمت الصمت بدورها ، مقابل منحة نقدية أخرى .

قال (دانى) فى غيظ :

- من حسن حظك أن المال يفعل الكثير هنا .

أجابه (أدهم) ساخرًا :

- بل يفعل كل شىء يا فتى .. لقد جعل (آرثر) يحتمل تعنيفكم ، ويقاتلكم فى حماس ، فهو لاعب كراتيه قديم كما تعلم ، وبعدها دخل إلى حجرة السكرتيرة ليرتدى سترته - كما أخبركم ، ولكن السبب الحقيقى لدخوله ، كان أن نتبادل الثياب مرة أخرى ،

وأصحبكم أنا إلى مكتب صديقنا (فوستر) ، ثم إلى هنا .

هتف (دانى) :

- أنت داهية بحق .

ثم أشار إلى الباب ، مستطردًا فى حدة :

- ولكنك لن تنجح أبدًا فى مغادرة هذه الحجرة مع زميلتك ، فرجالى سينسفون رأسك ، لو حاولت هذا ، حتى ولو كنت أقوى رجل فى العالم .

ابتسم (أدهم) بسخرية أكبر ، وهو يقول :

- هل تظن هذا ؟

ثم بدأ يجذب قناع (آرثر) الدقيق الذى يرتديه ، وهو يستطرد :

- ربما لا يستطيع (آرثر كنج) الخروج من هنا ، ولكنك تستطيع هذا حتمًا .. أليس كذلك ؟

لم يكد ينهى عبارته ، وينتزع القناع ، حتى اتسعت عينا (دانى) فى ذهول شديد ، وكاد قلبه يقفز من بين ضلوعه ، وهو يحدّق فى ذلك الوجه ، الذى برز من خلف قناع (آرثر) ..

كان هذا الوجه هو أكثر الوجوه قربًا إليه ..

كان وجهه هو ..

وجه (دانى) ، على جسد (أدهم صبرى) ..

وقبل أن يفيق (دانى) من ذهوله ، كان (أدهم) يقول ساخرًا :

- تذكر جيدًا اسم من هزمكم يا رجل .. تذكر اسم (موشى دزرائيلى) .

تضاعف ذهول (دانى) ، وهو يقول :

- (موشى) ماذا؟

ولكن إجابة (أدهم) جاءت على هيئة لكمة ساحقة ، هوت على أنف (دانى) ، وأسقطته هذه المرة وقد فقد وعيه ..

وخسر معركته ..

* * *

رفع المحامى (آرثر) كأسه عاليًا ، وهو يطلق ضحكة مرحة طويلة ، قبل أن يضرب كأسه بكأس سكرتيرته ، ويستمتع بالرنين ، هاتفًا :

- نخب أسهل عشرة آلاف دولار ربحتها .

أطلقت سكرتيرته ضحكة عابثة ، وقالت :

- نخب المال السهل .

لوّح (آرثر) بكأسه ، وهو يطلق ضحكة أخرى ، قائلًا :

- لو أن كل العمل كهذا .

قالت سكرتيرته جذلة :

- يا له من حلم !

جرع كأسه دفعة واحدة ، وهو يقول :

- حلم جميل .

لم يكن قد ابتلع محتويات الكأس بعد ، عندما اقتحم مسلحان مكتبه ، وصوّب أحدهما مسدسه إليه ، هاتفًا فى صرامة :

- كلمة واحدة وأطلق النار .

بصق (آرثر) ما بفمه ، وهو يسعل فى شدة ، واحتقن وجهه كثيرًا ، فى حين شحب وجه سكرتيرته ، والتصقت بمقعدها فى رعب ، وأحد المسلحين يتجاوزها فى خطوات سريعة ، متجهًا إلى (آرثر) ، وهو يقول فى صرامة :

- معذرة يا مستر (آرثر) ، ولكننى سأجذب لحيتك .

قرن قوله بالفعل ، وجذب لحية (آرثر) فى شدة ، فتأوّه هذا الأخير فى ألم ، وسعل مرة أخرى فى شدة ، قبل أن يقول فى اضطراب وحنق :

- هل أصابتكم لحيتى بالجنون ؟

دفعه الرجل بعيدًا ، والتقط سماعة الهاتف ، وضرب أزراره فى سرعة ، وانتظر لحظة ، ثم قال فى انفعال :

- كنت على حق أيها الرئيس .. (آرثر) ما يزال فى مكتبه .

أجابه (فوستر) من الجانب الآخر للهاتف ، فى انفعال شديد :

- هذا ما كنت أخشاه .. لقد خدعنا ذلك اللعين .

وأنهى الاتصال على الفور ، ثم عاد يرفع سماعة الهاتف ، ويضرب أزرار رقم المستشفى المركزى ، وهو يقول لنفسه محنقًا :

ـ ولكنه لن يغادر المستشفى حيًا .. أقسم أنه لن يفعل .

وفى أعماقه كان هناك بركان متفجِّر ..

بركان صنعه الغضب ..

وصنعته الهزيمة ..

* * *

لم يكد (دانى) يسقط فاقد الوعى ، حتى هبَّت (منى) من فراشها ، واندفعت نحو (أدهم) ، الذى يرتدى قناع (دانى) ، وهتفت فى حب وحرارة :

ـ أنت هنا ؟ .. يا إلهى !.. كنت أعلم أنك لن تخذلنى أبدًا .

التفت (أدهم) إليها ، وتفجَّرت عواطفه كلها فى أعماقه ، ولأوَّل مرة فى حياته ، ترك لمشاعره العنان ، واحتوى (منى) بين ذراعيه ، وهو يقول فى صوت دافئ حنون ، ويحمل كل حب الدنيا فى نبراته :

ـ أخذلك ؟!.. هل جننت ؟!.. إننى مستعد لانتزاع روحى من

جسدى ، ووضعها عند قدميك ، بكل الحب والسعادة ، استجابة لإشارة واحدة من خنصرك ؟

ذابت بين ذراعيه ، مع تلك الكلمات ، التى طال اشتياقها لها ، وتمنت لو يخلو العالم من كل مخلوق سواهما ، فى هذه اللحظة بالذات ، عندما ضمها (أدهم) إلى صدره القوى فى رفق وحنان ، وتحسَّس شعرها بأصابعه ، وهو يهمس فى أذنها :

ـ أنت بخير ؟

ابتسمت هامسة :

ـ أستطيع الذهاب معك إلى آخر الدنيا .

تحسَّس شعرها مرة أخرى ، ثم قال :

ـ هذا يحتاج إلى بعض الإجراءات .

ثم أبعدها عنه فى رفق ، وابتسم قائلًا :

ـ هيا يا عزيزتى .. استديرى وأغلقى عينيك ، فسأستبدل ثيابى مع هذا الوغد ، ونغادر المكان على الفور .

استبدل ثيابه مع (دانى) فى سرعة ، ولم يكد ينتهى ، حتى سمع صوت (فوستر) ، عبر جهاز اللاسلكى الصغير ، الذى يحمله (دانى) ، وهو يقول :

ـ ألقوا القبض على (آرثر) .. إنه شخص زائف .. هل تسمعوننى ؟.. ألقوا القبض عليه فورًا ..

لم يكد يسمع هذا ، حتى انحنى يلتقط قناع (آرثر) فى سرعة ، ويثبته على وجه (دانى) ، فى نفس اللحظة التى اقتحم فيها رجال هذا الأخير الحجرة ، وهم يحملون أسلحتهم ، فاستعار هو صوت (دانى) ، فى سرعة ودقة مذهلتين ، وهو يشير إليهم ، قائلاً :

- أخفضوا أسلحتكم .. لقد أفقدته الوعى .

ثم هبّ واقفًا ، وأمسك (منى) من ذراعها ، وهو يقول فى خشونة :

- إنه طليعة فريق من الإسرائيليين ، يحاول إنقاذ هذه الجاسوسة اللعينة .. ابقوا هنا فى انتظارهم ، وسأبتعد أنا بها عن هنا .. هيا .. استعدوا للقتال .

وألصق فوهة مسدس (دانى) بصدغ (منى) ، مستطردًا فى صرامة .

- اتبعينى أيتها الجاسوسة ، وإلا نسفت رأسك .. هيا .

تركه الرجال يغادر الحجرة مع (منى) ، وهم يتحفزون لمقاومة الهجوم الزائف ، فى حين قاد (أدهم) (منى) إلى المصعد ، ولم يكد يلجه معها ، حتى قال فى حزم :

- (قدرى) ينتظرنا فى أسفل ، داخل سيارة إسعاف خاصة ، والمفروض أن نغادر المكان بأقصى سرعة .

قالت فى حماس :

- سننجح بإذن الله .

وفى نفس اللحظة ، كان أحد رجال (دانى) يتطلّع إلى جسد هذا الأخير ، الفاقد الوعى ، وهو يقول فى حذر :

- عجبًا !.. هذا التنكر يبدو واضحًا للغاية هذه المرة !.. كيف لم ننتبه إليه من قبل ؟!

مال رجل آخر يلتقط القناع ، مجيبًا :

- لقد أصبحت هذه الأقنعة متقنة للغاية هذه الأيام ، و ..

لم يكد ينتزع القناع ، حتى شهق الجميع فى ذهول ، وهم يحدقون فى وجه (دانى) ، قبل أن يهتف أحدهم :

- إنه (دانى) .. إذن فهذا الرجل ، الذى اصطحب الجاسوسة ، لم يكن سوى ..

بتر عبارته بغتة ، واتسعت عيونهم جميعًا ، فى ذعر وذهول ، ثم لم يلبث أحدهم أن انتزع نفسه من ذهوله ، وهو يلتقط جهاز اللاسلكى الصغير من جيبه ، هاتفًا :

- (جيم) .. (هنرى) .. أنا (نويل) فى أعلى .. لقد خدعنا شيطان عجيب ، واصطحب السجينة ، وهو متنكر فى هيئة (دانى) .. لا تجعلاه يغادر المستشفى أبدًا ، حتى لو اضطررتما لقتله .

تلقى رجلا المخابرات ، فى الطابق السفلى ، هذه الرسالة ، فانطلقا يعدوان نحو المصعد ، واستلّ كل منهما مسدسه ،

وصوّباه إلى بابه ، الذى لم يكد يُفتح ، حتى ظهر من خلفه (أدهم) ، فى هيئة (دانى) ، بصحبة (منى) ..

ودون تردد ، ضغط رجلا المخابرات زناد مسدسيهما .. وأطلقا النار .

* * *



٥ ـ المقاتل ..

لم يتردد رجلا المخابرات فى إطلاق النار ..

لقد أدركا على الفور أن خصمهما هو نفسه ذلك الرجل ، الذى خدع مدير مستشفى السجن المركزى مرتين ..

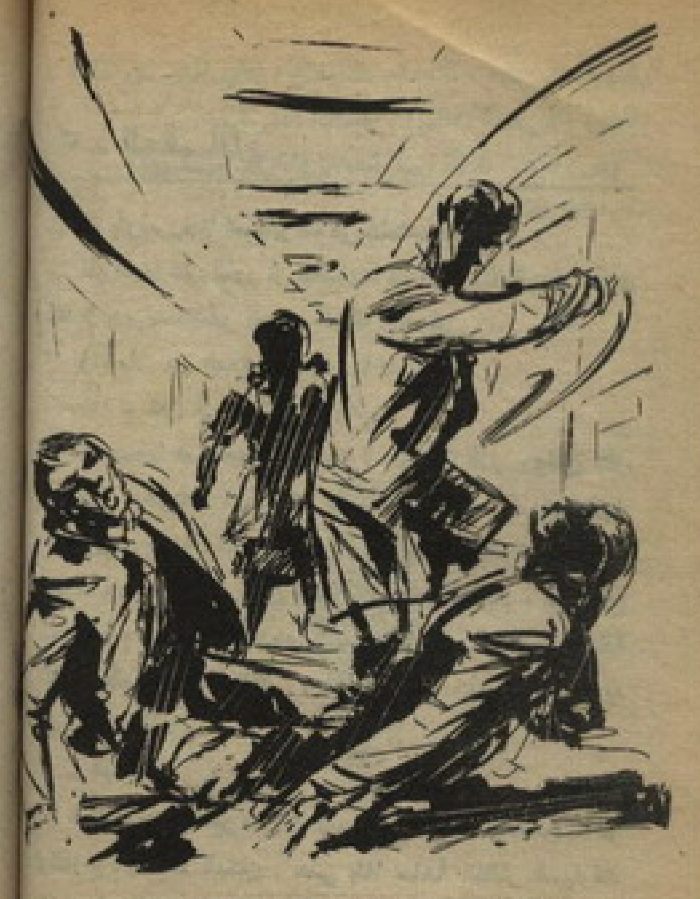
ولم يكن من الممكن أن يسمحا له بالفرار ..

هذا لو كان فى إمكانهما منعه ..

لقد صوّبا مسدسيهما فى مهارة ، وأطلقا النار ، ولكن عقل (أدهم) استوعب الأمر فى سرعة كالمعتاد، وسبق عقول الآخرين ، فدفع (منى) جانبًا ، وقفز هو إلى الجانب الآخر ، وترك رصاصتى الرجلين تخترقان جسم المصعد ، ثم اندفع نحوهما ، وهشم فك أحدهما بلكمة كالقنبلة ، فى نفس اللحظة التى حطم فيها أنف الثانى ، بلكمة ساحقة ، ثم عاد يمسك يد (منى) هاتفًا :

ـ هيا .

انطلقا يعدوان عبر ممرات المستشفى ، وسط حالة من الذعر والفزع ، سادت المكان ، حتى بلغا ساحة انتظار السيارات الجانبية ، وهناك استقبلهما (قدرى) ، وهو يهتف :



ثم اندفع نحوهما ، وهشّم فك أحدهما بلكمة كالقنبلة ، فى نفس اللحظة التى حطّم فيها أنف الثانى ..

- أسرعا .. ستنطلق على الفور .

عاون (أدهم) (منى) على الصعود إلى سيارة الإسعاف ، والتقط من حقيبة جانبية قناعًا مطاطيًا رقيقًا ، يحمل وجه امرأة عجوز ، ثبته على وجهها فى عناية ، وهو يقول فى حزم :

- لا تخلعى هذا القناع ، حتى تصلا إلى السفارة المصرية ، ومن هناك اطلبى نقلك بجواز سفر دبلوماسى ، وطائرة خاصة إلى (القاهرة) ، بصحبة (قدرى) .

سألته فى جزع :

- ألن تأتى معنا ؟

تنهّد وقال :

- ينبغى أن أؤمن ظهريكما ، وأشغل المطاردين عنكما .

تشبثت به ، هاتفة فى ضراعة :

- لا يا (أدهم) .. سنرحل معًا .

قال فى صرامة :

- لم تنته مهمتى بعد يا (منى) .. ما زال (هارولد) بين أيديهم .

قالت ودموعها تتألق فى عينيها :

- (أدهم) .. أرجوك .

كرّر فى حزم :

- لم تنته المهمة بعد .

ثم أمسك كفها فى حرارة ، واستطرد فى لهجة عاطفية :

- إلى اللقاء يا (منى) .. تذكرى أننى مستعد دائمًا لتلبية ندائك ، مهما كانت الظروف .

هتفت فى ذعر :

- ماذا تعنى ؟.. ألن تعود إلى (القاهرة) ؟

بدا التأثر فى عينيه ، وهو يقول :

- لم يحن الوقت بعد يا عزيزتى .. ما زال من الأفضل أن أبقى رسميًا خارج هذا العـــالم .. إلى اللقاء يا (منى) .. إلى اللقاء .

انهمرت دموعها فى مرارة ، فربّت على كتفيها ، قائلًا :

- لا تفسدى القناع .. إنه رقيق للغاية .

وضع (قدرى) يديه على كتفى (أدهم) ، وهو يقول :

- إلى اللقاء يا صديقى .. سننتظرك فى (القاهرة) .. أعنى .. عندما يحين الوقت المناسب .

أومأ (أدهم) برأسه ، قائلًا فى تأثر :

- إلى اللقاء يا صديقى .

وعلى الرغم من تحذير (أدهم) ، بكت (منى) فى حرارة ، و (قدرى) يقود السيارة بها ، إلى خارج المستشفى المركزى ..

ها هى ذى تفقد (أدهم) مرة أخرى ..

وفى رأسها دار سؤال خائف قلق ..

هل ستلتقى به مرة أخرى ؟..

بقى السؤال يتردّد فى رأسها ، مع صوت (قدرى) ، وهو يقول لأحد رجال المخابرات ، الذى يقف عند بوّابة المستشفى :

- إنها إمرأة عجوز ، لم يغط تأمينها كل العلاج اللازم ، وقرّر أبناؤها نقلها إلى مستشفى أقل تكلفة .

فتح رجل المخابرات باب سيارة الإسعاف ، وألقى نظرة على (منى) ، التى انخرطت فى البكاء والنحيب ، فأشار إليها (قدرى) ، قائلًا :

- إنها متأثرة للغاية . كما ترى .

كان القناع متقنًا ، والبكاء طبيعيًا ، حتى أن رجل المخابرات اقتنع فى سرعة وأشار لـ (قدرى) بالانصراف ، قائلًا :

- أسرع بالانصراف إذن يا رجل ، فمن الواضح أن الموقف هنا سيزداد تأزمًا فى كل دقيقة .

أجابه (قدرى) :

- أنت على حق .

ثم انطلق بالسيارة ، مبتعدًا عن المستشفى ، وبكاء (منى) يتصاعد ، ودموعها تغرق وجهها ، وتنهمر فى غزارة ..

ودموعه كذلك ..

* * *

بدا (فوستر) شديد العصبية ، على غير عادته ، وهو يستقبل (إيزاك) فى مكتبه ، ويقول فى حدة :

ـ ماذا تريد هذه المرة يا (إيزاك) ؟

جلس (إيزاك) على المقعد المواجه لمكتب (فوستر) ، دون أن يدعوه هذا الأخير للجلوس ، وأسرع يفتح حقيبته ، ويلتقط منها ملفًا بالغ الضخامة ، وهو يقول :

ـ قل لى يامستر (فوستر) .. هل رأيت ذلك الرجل ، الذى يفعل بكم كل هذا ؟

لم ترق العبارة لـ(فوستر) ، فقال فى لهجة أكثر عصبية :

ـ ما الذى تعنيه بهذا القول الأحمق يا (إيزاك)؟

قال (إيزاك) ، دون أن يفقد أعصابه :

ـ أعنى هل رأيت وجهه ؟.. هل تعرّفته ؟

لوّح (فوستر) بذراعه كلها ، وهو يجيب :

ـ لا أحد رأى وجهه يا (إيزاك) ، ولا أحد عرف بعد من هو .. هل يكفيك هذا الجواب ؟

أجابه (إيزاك) :

ـ نحن عرفنا من هو .

ووضع الملف الضخم على مكتب (فوستر) ، مستطردًا فى حزم :

ـ ها هوذا .

ألقى (فوستر) نظرة على الملف ، الذى يحمل اسم (أدهم صبرى) بحروف كبيرة ، ثم اعتدل فى حركة حادة ، وقال :

ـ لماذا تصوّرتم أنه هو ؟.. ألم يمت فى (المكسيك) ، منذ عام ونصف العام ؟

أجابه (إيزاك) :

ـ لا يوجد دليل واحد مؤكّد على هذا ، كما أن لدينا ما يجعله المرشّح الأوّل ، لكل ما يحدث هنا .

وراح يروى له قصته مع (سونيا جراهام) بكل التفاصيل ، حتى انتهى بقوله :

ـ صحيح أننى رأيت رجلنا السابق (موشى نزرانيلى) ، ولكن القنصل يجزم بأن (موشى) قد لقى مصرعه ، فلا يتبقى أمامنا إذن إلا (أدهم صبرى) ، رجل المخابرات المصرى العنيد ، الذى هزم كل أجهزة المخابرات فى العالم ، و ...

قاطعه (فوستر) فى خشونة :

ـ ليس كلها .

أجابه (إيزاك) فى (حزم) :

ـ بل كلها يامستر (فوستر) ، لو أنك تذكر قتالكم معه ، فى ...

قاطعه مرة أخرى فى حدة :

ـ لسنا هنا لسماع محاضرة عن تاريخ المخابرات .

ثم أمسك الملف البالغ الضخامة ، وهو يتابع فى عصبية :

ـ وعلى أية حال ، رجالى يحاصرون ذلك الرجل الآن ، فى المستشفى المركزى ، ومن المؤكد أنهم سيوقعون به ، وسنعرف عندئذ من هو .. (موشى تزرانيلى) أم ...

واكتسى صوته بشىء من التوتر ، وهو يضيف :

ـ أم (أدهم صبرى) ؟!..

* * *

لم يكد (أدهم) يطمئن إلى خروج سيارة الإسعاف من المستشفى بسلام ، حتى غادر مكمنه ، وانطلق نحو الساحة الخلفية للمستشفى ، وهو يقول لنفسه فى سخرية :

ـ هأنتذا أصبحت وحيدًا فى الساحة يا (أدهم) .. أثبت إذن أنك ما تزال نفس الرجل ، الذى يعرفونه من قبل

كان يتجه نحو سلالم الطوارئ ، عندما سمع من خلفه صوتًا يهتف :

ـ ها هوذا .

ثم مرقت إلى جواره رصاصة ، اخترقت لافتة من اللافتات الداخلية للمستشفى ، قبل أن تستقر فى الحائط المقابل ..

واستدار (أدهم) فى سرعة مدهشة ، وأطلق رصاصة من مسدسه ، أصابت مسدس مطارده ، وأطاحت به بعيدًا ، ثم واصل عدوه نحو سلم الطوارئ وقفز يتسلقه فى خفة وسرعة ، ومن خلفه صوت أحد رجال المخابرات ، يهتف محنقًا :

ـ لا تسمحوا له بالفرار .. أوقفوه .

تابعته رصاصات رجال المخابرات ، وهو يصعد فى سرعة ، حتى بلغ نافذة مفتوحة ، فى الطابق الثالث ، فقفز منها إلى الداخل ، وسط حالة من الفزع والذعر ، أصابت روّاد المستشفى ، وصاح مشيرًا بيده :

ـ لا تفزعوا .. إنها تجربة طوارئ فحسب .

انحرف فى نهاية الممر ، ثم أطلق رصاصتين فى الهواء ، واختفى فى حجرة جانبية ، فاندفع رجال (دانى) ، فى حجرة (منى) السابقة إلى الممر ، وهتف أحدهم :

ـ أين هو ؟.. أين ذهب ؟

أشارت ممرضة القسم إلى الحجرة ، التى اختفى داخلها (أدهم) ، وهى تقول فى رعب :

ـ هنا .. إنه هنا .

اندفع الرجال يقتحمون الحجرة فى عنف ، ويشهرون مسدساتهم داخلها ، و ...

ولكن الحجرة كانت خالية تمامًا ..

وكانت نافذتها مفتوحة ..

وفى جسارة ، اندفع أحدهم نحو النافذة ، وتطلع منها إلى الخارج ، هاتفًا :

- لا أثر له .

هتف آخر :

- ربما استقل سلم الطوارئ مرة أخرى .

فتشوا الحجرة جيدًا ، ثم غادروها فى سرعة ، وانتشروا فى المستشفى يبحثون عن (أدهم) ، فى توتر بالغ ..

ولكن هيهات ..

لقد اختفى (أدهم صبرى) ..

اختفى تمامًا ..

* * *

«اختفى ؟!..» .

صرخ (فوستر) بالعبارة فى غضب هادر ، وهو يكاد يعتصر سماعة الهاتف بأصابعه ، فأجابه (دانى) من المستشفى ، والضمادات تحيط بأنفه المحطم :

- لا أحد يدرى أين ذهب .. لقد استعدت وعيى ، لأجد الرجال حولى ، فى حجرة الجاسوسة الهاربة ، وخيبة الأمل ترسم لوحاتها على وجوههم :

صاح (فوستر) فى حنق :

- بل الغباء والعجز هما اللذان يفعلان هذا .. غباء رجالك وسخافتهم وعجزهم .

تمتم (دانى) ، فى صوت مختنق :

- لقد فعلو كل ما بوسعهم .

صاح (فوستر) :

- هراء .

ثم أضاف فى حدة :

- لقد خسرنا كل شىء يا (دانى) ، ولم يعد لدينا سوى (هارولد) نفسه ، ولابد أن نحافظ عليه جيدًا ، حتى يمكننا كشف هويته الحقيقية .. هيا .. ألق نفسك فى أوّل سيارة تصادفك ، وتعال إلى مكتبى على الفور ؛ لنبحث عن حل لهذه المشكلة ..

أنهى المحادثة فى عنف ، فقال (إيزاك) فى حماس :

- إنه مصرى .. فليقطع ذراعى ، إن لم يكن (هارولد) هذا مصريًا .

رمقه (فوستر) بنظرة غاضبة ، وهو يقول :

- أو إسرائيليًا .

لوّح (إيزاك) بكفه ، قائلا :

ـ ألم تصدّقني بعد يا (جيمس)؟.. ألا تثق بي؟

أجابه (فوستر) في صرامة :

ـ لست أثق حتى بأمي .

ثم تراجع في مكتبه ، واستطرد منفعلا :

ـ كما أن قصتك هذه تحوي ثغرة ضخمة ، لست أدري كيف لم تنتبه إليها .

ردّد (إيزاك) في دهشة :

ـ ثغرة ؟!

أجابه (فوستر) :

ـ نعم يا (إيزاك) .. لقد قالت (سونيا) إنها أتت لتكشف سر زوجها .. أليس كذلك ؟

قال (إيزاك) ..

ـ بلى .. ولكن ..

قاطعه (فوستر) في حزم :

ـ ومن منا يجهل طبيعة ذلك الصراع الشرس ، بين (سونيا) و(أدهم) ، منذ واجه أحدهما الآخر ؟!.. هل يُعقل ، في هذه الحالة ، أن يكون زوج عزيزتنا (سونيا) ، هو نفسه (أدهم صبري) ؟.. هل يمكن لشخص واحد عاقل أن يصدق هذا ؟

أجابه (إيزاك) في توتر :

ـ لقد بحثت مع القنصل هذه النقطة ، ومن رأيه أن زواجهما قد يكون السبب الحقيقي ، الذي جعل (أدهم صبري) يخفي سر وجوده على قيد الحياة .

هتف (فوستر) :

ـ هكذا ؟!.. هل تظن أن رجلا مثل (أدهم صبري) ، يمكنه أن يضحي بحياته العملية كلها ، من أجل قصة حب عجيبة كهذه ؟!

تردّد (إيزاك) ، وهو يقول :

ـ إننا لم ندرس الأمر على هذه الصورة ، ولكن ..

قاطعه (فوستر) في حزم :

ـ اسمع يا (إيزاك) .. أنا أيضًا وضعت هذا الافتراض في رأسي ، ولكنني لست واثقًا منه بعد ، فلقد رأيت بأم عيني وكر (بانشو سيلازر) ، وقد استحال إلى كومة من الرماد ، وكان (أدهم صبري) داخله ، قبل أن ينفجر ، وصدقني .. من المستحيل أن ينجو مخلوق بشري ، من هذا الجحيم .

قال (إيزاك) في حذر :

ـ لا تنس أن (أدهم صبري) كان يحمل لقب (رجل المستحيل) .

رمقه (فوستر) بنظرة جانبية ، وقال :

- ربما يا (إيزاك) .. إننى لم أستبعد هذا الاحتمال بعد .

ثم مال فجأة ، وضرب سطح مكتبه بقبضته فى صرامة ، مردفًا :

- ولكن هذا لا يعنى أن من حقكم التدخل .

هتف (إيزاك) معترضًا :

- إننا ندافع عن ..

قاطعه (فوستر) صائحًا :

- ليس هنا .. إننى أمنعكم من التدخل ، فى الولايات المتحدة الأمريكية ، حتى ولو كان هذا لمقاتلة (أدهم صبرى) نفسه .. هل تفهم ؟ .. محظور عليكم العمل هنا لأى سبب .

نهض (إيزاك) ، قائلًا فى غضب :

- أفهم يا (جيمس) ، ولكن هذا يعنى أن مسئولياتكم ستتضاعف ، فمهمتكم لن تقتصر على حماية أنفسكم فحسب .. بل ستمتد إلى حمايتنا كذلك .

قال (فوستر) فى صرامة :

- لو لم يكن (هارولد) هذا يعمل لحسابكم حقًا .

بدا مزيد من الغضب على وجه (إيزاك) ، وغادر الحجرة محنقًا ، تاركًا (فوستر) خلفه ، وهو يقول لنفسه فى عصبية :

- على الرغم من كل هذا ، فمازلت أثق بأننا نقاتلك أنت بالذات يا (أدهم صبرى) .. ولكن لو أنك حقًا على قيد الحياة ، فـ (فوستر) وحده هو الذى سينال شرف إرسالك إلى الجحيم .

وتألقت عيناه ، وهو يستطرد :

- أو إلى جنة الأبطال الحمقى .. وبأسرع مما تتصور .

* * *





لم تكد الطائرة الديبلوماسية المصرية الخاصة تحلّق فى سماء (نيويورك) ، فى طريقها إلى (القاهرة) ، حتى انتزعت (منى) عن وجهها ذلك القناع الدقيق ..

٦ ـ نوع من الرجال ..

لم تكد الطائرة الديبلوماسية المصرية الخاصة تحلّق فى سماء (نيويورك) ، فى طريقها إلى (القاهرة) ، حتى انتزعت (منى) عن وجهها ذلك القناع الدقيق ، لوجه العجوز ، وألقته بعيدًا ، وهى تهتف فى عصبية :

ـ لم أعد أحتمله .

ابتسم (أدهم) ابتسامة مشفقة ، وهو يقول :

ـ أواثقة أنت من أن القناع هو السبب ؟

اغرورقت عيناها بالدموع ، وأشاحت بوجهها ، وهى تقول :

ـ لماذا يصرّ على البقاء بعيدًا ؟.. لمَ لا يعلن للجميع أنه على قيد الحياة ؟

قال مبتسمًا فى تعاطف حنون :

ـ القناع؟

أجابته فى حدة :

ـ أنت تعرف من أقصد .

تنهّد عميقًا ، وقال :

ـ لديه أسبابه بالتأكيد .

هتفت محنقة :

ـ أية أسباب تلك ، التى تبعده عن وطنه ، وتجبره على العيش مع تلك الأفعى (سونيا جراهام) ؟

كرّر فى حزن واضح :

ـ لديه أسبابه حتمًا .

خيّم عليهما الصمت بضع لحظات ، بعد جوابه هذا ، ثم سألته هى ، والدموع تنسكب على وجنتيها :

ـ أتظنه سيعود ؟

أجاب فى اقتضاب :

ـ بالتأكيد .

سألته فى مرارة :

ـ لماذا تقولها بكل هذه الثقة ؟

بدا جوابه بسيطًا مخلصًا ، وهو يقول :

ـ لأنه يحب (مصر) ، ولن يحتمل الابتعاد عنها طويلًا .

كان الجواب منطقيًا للغاية ، بالنسبة لما تعرفه عن (أدهم) ، وعلى الرغم من هذا ، فقد شعرت فى أعماقها بمرارة لا حد لها ، وبحزن أعمق من أن تصفه ..

إنها واثقة من عودته يومًا ، ولكنها لا تدرى متى ؟ وأين ؟ ..

وستنتظر عودته هذه ..

ستنتظرها مهما طال الزمن ..

* * *

على الرغم من أن مظهر (دانى) كان يبدو مضحكًا ، بتلك الضمادة الكبيرة ، التى تحيط بأنفه ، إلا أن (فوستر) لم يبتسم ، وهو يسأله فى حدة :

ـ لماذا تأخرت هكذا ؟

أجابه (دانى) بصوته المختنق ، من أثر الضمادة :

ـ يبدو أن خصمنا يمتلك قبضة قوية للغاية ، فمازال رأسى يؤلمنى ، حتى أننى استعنت بأحد رجالى ، ليقود السيارة بى إلى هنا .

قال (فوستر) غاضبًا :

ـ كيف تسمح له بهزيمتك هكذا ؟

بدا الضيق على وجه (دانى)، وهو يقول :

ـ لقد باغتنى ، وكسر أنفى بقبضته القوية .

نهض (فوستر) ، قائلًا :

ـ هل تعلم ما الذى سيجره علينا هذا ؟ .. سيكون هناك تحقيق ضخم ، بشأن فرار الجاسوسة ، وسيتساءل قاضى التحقيقات ، كيف تم نقلها من السجن النسائى الفيدرالى ، إلى المستشفى المدنى المركزى ، وعندئذ سيبرز مأمور السجن ذلك التصريح المزيّف ، الذى منحته إياه ، ليبرّر موقفه ، وسيضعنا هذا فى موقف بالغ السوء .

أجابه (دانى) مبتسمًا :

ـ اطمئن ياسيدى .. لن يجد لديه سوى ورقة بيضاء ، فقد حرصت على كتابة ذلك التصريح بحبر خاص ، ينمحى بعد عدة ساعات .

هتف (فوستر) فى ارتياح :

ـ حقًا !!

ثم ربّت على كتفه فى حرارة ، مستطردًا :

ـ أحسنت هذه المرة يا (دانى) .. أحسنت بالفعل .

وعاد يجلس خلف مكتبه ، وهو يتابع فى سعادة :

ـ لم أتصوّر أنك ستفعل هذا ؟

ابتسم (دانى) فى زهو ، وهو يقول :

ـ تلميذك النجيب ياسيدى .

ثم عاد حاجباه يلتقيان فى جدية ، وهو يستطرد :

ـ وبالمناسبة .. لقد عرفت من هو خصمنا بالضبط .

سأله (فوستر) فى اهتمام :

ـ من ؟

مال (دانى) نحوه ، وهمس :

ـ إنه (موشى) .. (موشى دزرائيلى) .. رجل (الموساد) السابق .

انعقد حاجبا (فوستر) ، وتراجع فى بطء ، وهو يشبك أصابع كفيه أمام وجهه ، وسأل (دانى) :

ـ كيف عرفت هذا ؟.. هل رأيت وجهه ؟

هزّ (دانى) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ لم أر وجهه أبدًا ، وإنما هو أخبرنى بنفسه .

تفجّر الشك من فم (فوستر) ، وهو يقول :

ـ هو أخبرك بنفسه ؟!

أجابه (دانى) :

ـ نعم .. كان يزهو بأنه هزمنا ، و ..

استوقفه (فوستر) بإشارة من يده ، وأخذ يفكّر طويلًا فى عمق وصمت ، احترمهما (دانى) تمامًا ، فلم ينبس ببنت شفة ، وظلّ يتطلّع إلى رئيسه فى اهتمام ، حتى رفع هذا الأخير عينيه إليه ، وسأله :

ـ ما رأيك فى هذا يا (دانى)؟

أطلّت من عينى (دانى) نظرة تساؤل ، فتابع (فوستر) :

ـ هل يبدو لك من الطبيعى أن يخبرك هذا الرجل باسمه ؟

سأله (دانى) فى اهتمام :

ـ ماذا تعنى أيها الرئيس ؟

لوّح (فوستر) بسبابته ، وهو يقول :

- أعنى أن الأمر كله يبدو مريبًا وعجيبًا ، فلو أن خصمنا هو (موشى) حقًا ، فلماذا يكشف أمر نفسه ، ما دام يخفى أمر وجوده على قيد الحياة ؟

هرش (دانى) رأسه ، وهو يقول :

- لست أدرى فى الواقع .. ربما ..

قاطعه (فوستر) متابعًا ، وكأنه يحدث نفسه فقط :

- ولو أنه شخص آخر ، فلماذا اختار (موشى نزرانيلى) بالذات ، وهو يعلم أنه قد لقى مصرعه فى السابق ؟!

عاد (دانى) يهرش رأسه بضع لحظات أخرى ، قبل أن يقول :

- لن تجد لدىّ جوابًا لهذا يا سيّدى .. إلا إذا كانت هذه محاولة من المصريين ، لتوريط الإسرائيليين فى الأمر .

أجابه (فوستر) ، وبصره يشرد بعيدًا :

- أو محاولة من الإسرائيليين لإرباكنا ، ودفعنا إلى التفكير فى نفس هذا الاتجاه ، الذى تقترحه ، لإبعاد الشبهات عن أنفسهم .

ران عليهما صمت آخر ، ثم قال (دانى) فى حزم :

- شخص واحد يملك الجواب الحاسم لكل هذا .

سأله (فوستر) فى اهتمام :

- أى شخص ؟

أجاب (دانى) :

- (هارولد) .. (هارونتوين) ..

وحسم قوله الأمر ..

* * *

ارتفع رنين جرس الهاتف ، فى منزل القاضى الفيدرالى ، فانتزعه من نوم عميق ، وجعله يقفز من فراشه ، ويلتقط سمّاعة الهاتف ، وهو يقول فى صوت نصف نائم ، تغلب عليه رنة الغضب :

- من يطلبنى ، فى مثل هذه الساعة ؟

أتاه صوت هادئ ، يقول بلهجة أمريكية خالصة :

- صديق .

ردّد القاضى فى حنق ، وهو يلتقط منظاره ، ويضعه على عينيه :

- صديق ؟!.. أى صديق هذا ، الذى يوقظنى فى ساعة متأخرة كهذه ؟

تجاهل صاحب الصوت الهادئ ذلك الغضب الواضح ، وقال بنفس الهدوء المثير :

- ألم تسأل نفسك ياسيدى ، كيف نجحت الجاسوسة الإسرائيلية فى الفرار ، من المستشفى المركزى ؟

هتف القاضى فى دهشة :

- ماذا ؟.. هل نجحت فى ذلك حقًا ؟.. وكيف ذهبت إلى المستشفى المركزى ؟

أجابه صاحب الصوت :

- بإذن خاص منك .

صاح الرجل :

- منى أنا ؟!.. أى قول أحمق هذا ؟

أجابه صاحب الصوت :

- تصريح خروجها من السجن الفيدرالى يحمل توقيعك ياسيدى ، ولقد تسلمه مأمور السجن من أحد رجال المخابرات المركزية .

كاد القاضى ينفجر غيظًا وغضبًا ، وهو يقول :

- المخابرات المركزية ؟!.. ولماذا يدسّ رجال المخابرات المركزية أنفهم فى هذا ؟.. ألا يعلمون أن القانون يمنعهم صراحة من ..

أنهى محدثه المكالمة ، قبل أن يتم عبارته ، فحدّق القاضى فى سمّاعة الهاتف لحظة ، ثم أعادها إلى موضعها فى عنف ، وهو يقول :

- اللعنة !

سألته زوجته فى قلق ، عندما هبّ فجأة لارتداء ثيابه :

- ماذا هناك ؟!.. أهى حرب (مافيا) جديدة ؟

لوّح بكفه ، قائلًا :

- لم يعد هذا يحدث .. إنها قضية جديدة .. قضية ستكون لها ضجة هائلة ، لو أن ما قاله صاحب هذه المكالمة حقيقى .. ستكون (واترجيت) أخرى(*) .

سألته فى قلق أكثر :

- إلى أين تذهب ، فى هذا الوقت ؟

أجابها فى حزم :

- سأذهب لأزاول بعض صلاحيات مهنتى ، التى كدت أنساها مع حياة الدعة والكسل هذه .. سأفتش سجن النساء الفيدرالى تفتيشًا مباغتًا ، لألتقط منه طرف خيط ، سيحيط بأعناق بعض رجال المخابرات المركزية ، ويشنقهم بلا رحمة .

وغادر المنزل بكل صرامة ..

* * *

(*) واترجيت : فضيحة سياسية شهيرة ، فى الولايات المتحدة الأمريكية ، كشف خلالها صحفيان ، أن الرئيس الأمريكى (نيكسون) ، كان يتجسس على معارضيه ، فى الحزب المنافس ، وقد أثارت الفضيحة ضجة ضخمة ، اضطر بسببها الرئيس (نيكسون) إلى الاستقالة .

اخترقت واحدة من سيارات إدارة المخابرات المركزية تلك الدغل ، على مشارف (نيويورك) ، وسط الظلام الذي ساد المنطقة ، وراح قائدها يقودها في مهارة ، مستعينًا بمنظار خاص ، يتيح له القدرة على الرؤية في الظلام ، حتى لا يضطر إلى إضاءة الأنوار ، وفي المقعد الخلفي جلس (فوستر) ، وإلى جواره (داني) ، والأوّل يقول في اهتمام :

ـ المهم أن نجبر (هارولد) على الاعتراف هذه المرة ، لنتيقّن من أنه عميل إسرائيلي بالفعل .

أجابه (داني) في تراخ :

ـ اترك لي اختيار الوسيلة أيها الرئيس ، وسينطلق لسانه على الفور .

هزّ (فوستر) رأسه في قوة ، وقال في حزم :

ـ لا يمكننا أن نترك على جسده أية علامات ، تشير إلى استخدامنا القوة في استجوابه ، وإلا فالاستجواب يعدّ باطلًا ، في هذه الحالة .

مطّ (داني) شفتيه ، وقال :

ـ للأسف .

تنهّد (فوستر) ، وقال :

ـ هذا ما تفرضه علينا القوانين الخاصة بالحريات يا رجل ،

ولن تجد منها فكاكًا .. صحيح أننا نحتفظ بـ (هارولد) في منزل آمن ، يتغيّر باستمرار ، ومن العسير التوصّل إليه ، ولكننا لا نستطيع تقديمه للمحاكمة ، ولا إدانته ، إلا إذا عثرنا على دليل مادي قوي ضده .

قال (داني) في حدة :

ـ وهل نحتاج إلى دليل مماثل لنقتله ؟

أجابه (فوستر) في صرامة :

ـ لن يفيدنا هذا كثيرًا .

انحرف السائق ، في هذه اللحظة ، داخل منطقة عارية تقريبًا من الأشجار ، وتوقف أمام كوخ خشبي صغير في منتصفها ، وهو يقول :

ـ لقد وصلنا .

ظهر عدد من الرجال حول الكوخ ، وهم يصوّبون مدافعهم الآلية إلى السيارة ، فهبط منها (فوستر) ، وهو يرفع كفه ، قائلًا :

ـ لا داعي للقلق والتوتر يا صغار .. إنه أنا .

هبط (داني) خلفه ، وسارا متجاورين إلى الكوخ ، و (فوستر) يقول :

ـ هذا الموقف منهم يسعدني دائمًا ؛ فهو يشفّ عن تكاتفهم ومهارتهم .. إنهم أفضل رجالي .

غمغم (دانى) :

ـ أعلم هذا .

ابتسم (فوستر) ، دون أن يجيب ، ودفع باب الكوخ بيده ، ثم دلف إليه فى خفة ، وتبعه (دانى) فى هدوء ، ثم توقف متطلعًا إلى الرجال الأربعة المسلحين بالمدافع الآلية ، الذين يحيطون بالرجل ، الذى أتى من أجله ..

بـ(هارولد) ..

* * *

دفع ممرض المستشفى المركزى عربة الأدوات الطبية أمامه فى ضجر ، وأشار إلى حجرة (منى) السابقة ، وهو يقول لزميلته السمراء :

ـ هل ترين هذه الحجرة ؟.. لقد شهدت اليوم قتالًا عنيفًا ، تسبب فى إصابة ثلاثة من النزلاء هنا بأزمات قلبية مفاجئة .

رفعت حاجبيها الجميلين ، هاتفة :

ـ إلى هذا الحد ؟

دفع باب حجرة الأدوات ، المجاور لحجرة (منى) ، وهو يقول ، محاولًا إثارة انتباهها :

ـ لقد شاهدت ما حدث بنفسى .. كان هناك رجال مسلحون ،

ورجل يطاردونه ، وطلقات نارية .. تمامًا كما يحدث على شاشة السينما .

هتفت مبهورة ، وهى تتبعه إلى حجرة الأدوات ، لتستمع إلى باقى الرواية :

ـ هل حدث هذا حقًّا ؟

أحاط وسطها بذراعه ، وهو يقول :

ـ وأكثر من هذا .. سأروى لك القصة كلها ، ونحن ..

بتر عبارته فجأة ، هاتفًا فى قلق :

ـ ما هذا ؟

سألته :

ـ ماذا حدث ؟

أجابها فى عصبية :

ـ هل تسمعين هذا الصوت ؟ .. يبدو أشبه بصوت رجل مكمّم الفم ، أو ...

التقطت مسامعها الصوت نفسه ، فى تلك اللحظة ، فقاطعته هاتفة :

ـ نعم .. إنه هنا .

أسرعا إلى دولاب الأدوات الضخم ، وفتحاه على مصراعيه ، ثم أطلقت الفتاة شهقة قوية ، وهى تحدق فى ذلك الرجل الضخم

الجثة ، المقيَّد الذراعين والقدمين ، والمكمَّم الفم ، الذى يرقد داخل الدولاب ، فى حين هتف زميلها :

ـ من أنت ؟.. ومن جاء بك إلى هنا ؟

وعندما نزع الكمامة عن فم الرجل ، أتاه الجواب أعجب مما كان يتوقع بكثير ..

وأكثر خطورة ..

* * *

جذب (فوستر) شعر (هارولد) فى شدة ، وهو يسأله فى صرامة :

ـ أما زلت تصرّ على قولك هذا ؟.. أتعلم ما الذى يمكننا فعله بك ، لتجبرك على الاعتراف بالحقيقة ؟

أجابه (هارولد) فى تهالك :

ـ لقد اختبرت الوسائل كلها .. أنسيت أننى أعرفها ، وأحفظها عن ظهر قلب ؟

قال (دانى) فى حدة :

ـ لا .. لست تعرفها كلها .. ما تزال هناك وسائل أكثر عنفًا .

ابتسم (هارولد) ابتسامة واهنة ، وقال :

ـ لا يمكنك ترك علامات واضحة على جسدى .



ثم أطلقت الفتاة شهقة قوية ، وهى تحدق فى ذلك الرجل الضخم الجثة ، المقيَّد الذراعين والقدمين ..

جذبه (دانى) من سترته ، قائلًا :

- هل تراهن ؟

قال (هارولد) :

- ولكننى أدليت باعتراف تفصيلى .. ماذا تريدون منى أكثر من هذا ؟

واجهه (فوستر) ، قائلًا :

- إذن فأنت تصرّ على أنك إسرائيلى ؟

أجابه (هارولد) :

- ألستم تريدون الحقيقة ؟

قال (فوستر) فى صرامة :

- ومن قال إن هذه هى الحقيقة ، وإنك بالفعل ..

قاطعه أزيز جهاز الاتصال الخاص فى حزامه ، فالتقطه ، وضغط زر الاتصال فيه ، وهو يقول :

- من يتحدث ؟

تردّد داخل الكوخ صوت واضح ، يهتف فى انفعال :

- إنه أنا أيها الرئيس .. أخبرنى أين أنت بالضبط ، فهناك أمر بالغ الخطورة ، ينبغى أن تأخذ حذرك منه .. أين أنت يا سيدى ؟.. أين ؟

وهنا حدّق الجميع فى وجه (دانى) فى ذهول ، فقد كان الصوت الذى يسمعونه ، عبر جهاز الاتصال ، هو صوته ..

صوت (دانى) ..

وفى ذهول هتف (فوستر) :

- يا للشيطان !.. أهو أنت ؟!

وارتفعت فوهات المدافع الآلية الأربعة نحو ذلك الرجل ، الذى يحمل وجه وصوت ، وجسد (دانى) ..

نحو (أدهم) ..

(أدهم صبرى) ..

★ ★ ★



٧ ـ الرجل .. والمستحيل ..

فى كل أجهزة المخابرات ـ تقريبًا ـ ستجد حتمًا ملفًا ضخمًا ، يحمل اسم (أدهم صبرى) ، وعشرات من الصور ، التى تفترض شكله وهيئته ، فى حالات مختلفة من التنكر ..

وفى كل الدول ، التى تمتلك أجهزة المخابرات فيها مثل هذا الملف ، خضع الأمر لدراسة طويلة معقدة ، تحمل فى مجملها سؤالاً واحدًا ، لم يجد له جهاز مخابرات واحد ، فى العالم أجمع ، أى جواب أو تفسير ..

كيف يمتلك (أدهم صبرى) ، كل هذه القدرات ؟!..

كيف يمكنه أن يتنكر فى هيئتك ، فيصيبك ـ أنت نفسك ـ بالحيرة والشك ، حتى لتتساءل : من منكما الحقيقى ، ومن الزائف ؟!.

كيف يتقن انتحال شخصيتك ، على هذا النحو المذهل ؟..

ثم كيف يتحرك ـ عادة ـ بتلك السرعة المذهلة ، التى تكاد تتجاوز ـ فى بعض الأحيان ـ سرعة التفكير نفسها ؟!..

ودارت هذه الأسئلة بين عدد من العلماء والأطباء والمحللين

النفسانيين ، دون أن يجد أحدهم جوابًا علميًا شافيًا ، وعلى الرغم من هذا ، فقد استقرّ الجميع على رأى واحد ..

أن (أدهم صبرى) ليس شخصًا عاديًا ..

إنه نوع من الطفرة ، التى تظهر بندرة شديدة ، حتى لا ينعم الجيل الواحد بأكثر من شخص كهذا ..

أو قل العصر الواحد ..

ولقد قرأ (فوستر) هذا الملف كله ..

ولكنه لم يختبره ..

لم يكن قد اختبره بعد ..

حتى هذه اللحظة ..

لقد رأى فوهات مدافع رجاله ترتفع فى وجه (أدهم) ، ثم رأى (أدهم) يتحرك دون سلاح ..

وتراجع (فوستر) فى حدة ، ومزيج من الدهشة والخوف يملأ نفسه ، مع ما تشاهده عيناه ..

لقد تحرّك (أدهم) بسرعة مذهلة ، فركل مدفع أقرب الرجال إليه ، وتركه يطير إلى ما قرب سقف الكوخ ، فى نفس اللحظة التى جذبت فيها يده مدفع رجل آخر ، ثم هوت قبضته على فك الرجل الأول ، وواصلت انطلاقتها ، لتحطم فك الثانى ، فى حين ارتفعت قدمه اليسرى تضرب الثالث فى معدته ، ثم قفز ملتقطًا المدفع

الآلى ، فى طريق عودته إلى الأرض ، وأمسك بماسورته ، وهوى بكعبه على وجه الرجل الرابع ..

كل هذا فى ثوان معدودة ..

ثوان لم تسمح لأحد الرجال الأربعة بإطلاق رصاصة واحدة ، قبل أن يتكوّموا جميعًا فاقدى الوعى ، فى ركن الكوخ ، ويصوّب (أدهم) مدفع أحدهم إلى (فوستر) ، الذى التصق بجدار الكوخ فى ذعر ، و (أدهم) يقول فى سخرية :

ـ معذرة يا رجل .. هل أزعجتك ؟

نطقها بعبرية سليمة ، جعلت (فوستر) يحدّق فيه فى ذهول ، وأربكت (هارولد) أيضًا ، فلم يعد يدرى هل (أدهم) هنا لصالحه ، أم ضد صالحه ..

أما (أدهم) ، فقد توّج حديثه مع (فوستر) ، قائلاً بنفس اللغة والسخرية :

ـ أشكرك أن قدتنى إلى (هارولد) يا مستر (فوستر) ، فقد وفرت علىّ بذلك وقتًا ثمينًا ، كنت سأضيّعه فى البحث عنه .

شحب وجه (فوستر) ، وهو يقول :

ـ ولكن كيف ؟.. كيف فعلتها ؟

هزّ (أدهم) كتفيه ، وقال :

ـ أمر بالغ البساطة .. لقد عدت إلى حجرة زميلتى ، بعد أن

خدعت رجالك الأغبياء ، وجعلتهم يطاردوننى إلى حجرة أخرى ، مطلقًا النار فى الهواء ، وهناك أبدلت ثيابى مرة أخرى مع (دانى) ، وقيّدته فى إحكام ، وأخفيته فى حجرة الأدوات ، المجاورة لحجرة زميلتى ، مستغلاً خلو الممر من العاملين بالمستشفى والمرضى ، مع توتر الأحداث .

غمغم (فوستر) ذاهلاً :

ـ يا لك من داهية !.. إنك ثعلب حقيقى ..

ثم تفجّر غضبه دفعة واحدة ، وهو يستطرد :

ـ ولكنك لن تخرج من هنا حيًا .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يقول :

ـ أتظن هذا حقًا ؟

صاح به (فوستر) :

ـ بل أجزم به .. هل رأيت هؤلاء الرجال ، الذين يقفون بالخارج .. إنهم ـ كما أخبرتك ـ أفضل رجالى ، ولقد درّبتهم على الشك فى أقرب المقربين إليهم ، وعند خروجى من هنا ، ينبغى أن أنطق أمامهم بكلمة سر خاصة ، لا يعلمها سواهم وسواى ، وإلا فإنهم سيفترضون على الفور أننى شخص زائف ، وسيلقون القبض علىّ ، أو يقتلوننى عند المقاومة ، ومن المؤكد

أننى لن أخبرك بهذه الكلمة قط ، حتى لو انتحلت شخصيتى ، ومزقتنى إربًا .

وضغط أسنانه فى شراسة ، مستطردًا :

ـ صدقنى يافتى .. ليس لديك أدنى أمل .. لقد خسرت معركتك .. خسرتها تمامًا ..

* * *

اندفع مأمور السجن الفيدرالى النسائى ، يستقبل القاضى فى حرارة وارتباك ، وهو يصافحه قائلًا :

ـ مرحبًا بك ياسيِّدى القاضى .. أى رياح طيبة ألقت بك هنا .

أجابه القاضى فى صرامة :

ـ إنه تفتيش مفاجئ .

ردد المأمور فى دهشة :

ـ تفتيش ؟!

أجابه القاضى فى حدة :

ـ نعم أيها المأمور .. تفتيش مفاجئ .. صحيح أننى لم أقم بمثله منذ زمن طويل ، ولكنه من مقتضيات موقعى .. أليس كذلك ؟

هتف المأمور :

ـ بالطبع ياسيِّدى .. بالطبع .. السجن كله رهن إشارتك .

سأله القاضى مباشرة :

ـ أين الجاسوسة (هانا) ؟

ارتبك المأمور ، وهو يجيب :

ـ إنها لم تعد هنا ياسيِّدى .. لقد تم نقلها إلى المستشفى المركزى ، بأمر مباشر منك ، وتسلَّمها رجل مخابرات يُدعى (دانى) .

قال القاضى فى صرامة :

ـ هل يمكننى رؤية هذا الأمر ؟

أجابه وهو يفتح مكتبه فى سرعة :

ـ بالطبع ياسيِّدى .. بالطبع .

التقط التصريح ، وناوله إلى القاضى ، الذى قرأه فى عناية ، وانعقد حاجباه فى غضب ، عندما وقع بصره على توقيعه الزائف ، ثم قال :

ـ حسنًا أيها المأمور .. ستشهد بأن هذا التصريح هو نفسه ، الذى تسلَّمته من رجل المخابرات ، وسنعتبره دليلًا فى القضية .

شحب وجه المأمور ، وهو يقول :

ـ القضية ؟!.. أية قضية ؟

أجابه القاضى فى حزم صارم :

ـ قضية الموسم يا رجل .. القضية التى ستطيح بالفساد ، فى أكبر وأقوى أجهزة الأمن لدينا .. جهاز المخابرات المركزية ..

وارتجف المأمور ..

* * *

شعر (هارولد) بقلق بالغ ، وهو ينقل بصره بين (أدهم) و(فوستر) ، بعد أن نطق الأخير عبارته ..

لم يكن يعلم من هو (أدهم) بالضبط ، ولكنه رآه يعمل ، وأدرك أنه يقاتل إلى جانبه ، وأنه ليس شخصًا عاديًا ..

وكان يجهل كيف يمكنه الخروج من هذا الموقف ..

وعلى عكسه ، بدا (أدهم) هادئًا ، وهو يقول :

ـ من الخطأ أن تعلن هزيمتى ، والقتال لم ينته بعد يا (فوستر) .

قال (فوستر) فى شراسة :

ـ لن يمكنك الخروج من هنا ، على قيد الحياة .

رفع (أدهم) قبضته ، وهو يقول فى سخرية :

ـ دع لى هذه المهمة .

وهوى بها على فك (فوستر) كالقنبلة .. فلم تحطم عظم

المخابرات الأمريكية بجدار الكوخ ، ثم سقط فاقد الوعى ..

وهتف (هارولد) فى قلق :

ـ ماذا ستفعل الآن ؟

أجابه (أدهم) فى هدوء :

ـ لا تقلق .

ثم انتزع قناع (دانى) عن وجهه ، وشهق (هارولد) فى دهشة ، وهو يحدّق فى القناع الآخر أسفله ، والذى يجعل من (أدهم) نسخة طبق الأصل من (فوستر) ، وهتف (هارولد) :

ـ كيف تفعل هذا ؟

أجابه (أدهم) ، وهو يخلع عن (فوستر) معطفه ، ويرتديه بدلًا منه .

ـ ارتداء الأقنعة فوق بعضها البعض ، يوفر الكثير من الوقت عند الضرورة .. لقد تعلمت هذا فى مهمات سابقة .

هزّ (هارولد) رأسه ، وهو يقول :

ـ لست أقصد هذا .. بل أقصد كيف يمكنك التنكر ، بهذه الدقة المذهلة ؟

ابتسم (أدهم) ، وهو يحلّ قيوده ، قائلًا :

ـ مسألة خبرة يا صديقى .

لم تكد قيود (هارولد) تسقط ، حتى هبّ واقفًا ، وقال :



وشهق (هارولد) فى دهشة ، وهو يحدق فى القناع الآخر أسفله ، والذى يجعل من (أدهم) نسخة طبق الأصل من (فوستر) ..

ـ والآن كيف يمكننا الخروج من هنا ، ونحن نجهل كلمة السر ؟

التقط (أدهم) أحد المدفعين الآليين ، وهو يقول :

ـ كلمة السر هذه تستخدم فى الأحوال العادية يا رجل .

سأله (هارولد) فى حيرة :

ـ ماذا تقصد ؟

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

ـ أقصد أن خروجنا من هنا لن يكون أبدًا حالة عادية .

ثم أطلق رصاصات مدفعه الآلى فى الهواء ، وجذب (هارولد) ، هاتفًا :

ـ هيا بنا .

واندفع معه خارج الكوخ ، واستقبله رجال (فوستر) بفوهات مدافعهم الآلية ، فهتف مستعيرًا صوت (فوستر) بدقة مذهلة ، أثارت دهشة (هارولد) وإعجابه :

ـ خيانة .. هذا الرجل ليس (دانى) .. حاصروا المكان ، ولا تسمحوا له بالخروج .

أسرع الرجال يحيطون بالكوخ ، ويصوّبون مدافعهم إليه ، فى حين دفع (أدهم) (هارولد) أمامه ، وهو يصيح بصوت مرتفع :

ـ تقدّم أمامى أيها الجاسوس .. سنبتعد عن هنا .

دفعه داخل السيارة ، التى أتت به إلى المكان ، وصاح فى سائقها :

ـ ابتعد بأقصى سرعة .. هيا .

انطلق السائق بالسيارة على الفور ، مستخدمًا منظاره الخاص ، للرؤية الليلية ، فهتف أحد رجال (فوستر) :

ـ مستر (فوستر) لم يلق كلمة السر .

أجابه آخر فى قلق :

ـ يا للشيطان !.. أخشى أن يكون فى الأمر خدعة .

اندفع الجميع يقتحمون الكوخ ، ووقع بصرهم على (فوستر) الفاقد الوعى ، وحوله رجاله الأربعة ، فصاح أحدهم :

ـ إنها خدعة بالفعل .

ثم اندفع إلى الخارج ، مستطردًا فى انفعال :

ـ فليبق أحدكم لإسعاف مستر (فوستر) ، وليتبعنى الآخرون .. سنلحق بهذا الرجل .

اندفعوا نحو سياراتهم ، والتقط قائدهم مسماع جهاز اللاسلكى الخاص بالسيارة ، وهتف :

ـ لا تنطلق بعيدًا يا (آندى) .. الرجل الذى تحمله ليس السيد (فوستر) .. إنه شخص زائف .. زائف يا (آندى) .

وكمحترف ، لم يكد (آندى) يسمع هذه العبارة ، عبر جهاز

اللاسلكى ، حتى ضغط زرًا خاصًا ، فى أرضية السيارة ، وانتزع مسدسه ..

وفى سرعة البرق ، هبط حاجز زجاجى سميك ، بينه وبين المقعد الخلفى ، حيث يجلس (أدهم) و(هارولد) ، وأغلقت الأبواب إليكترونيًا فى إحكام ، ثم انطلق غاز مخدر داخل الجزء الخلفى للسيارة ، و(آندى) يقول ساخرًا :

ـ لم تنجح لعبتك هذه المرة يا رجل .

وامتلأت الكابينة الخلفية بالغاز .

* * *



٨ ـ القتال ..

انتفض جسد (فوستر) فى شدة ، وهو يستعيد وعيه ، داخل الكوخ الخشبى الصغير ، ولم يكد بصره يقع على ما حوله ، حتى هبّ واقفًا ، وهو يهتف :

ـ أين ذهب الرجل ؟

أجابه الشاب الذى بقى لإسعافه فى ضيق :

ـ لقد انتحل شخصيتك ، على نحو مذهل ياسيّدى ، ونجح فى خداعنا جميعًا ، وفرّ فى سيارتك ، و ...

قاطعه (فوستر) ثائرًا :

ـ أيها الأغبياء الحمقى .. لماذا لم تسألوه عن كلمة السر ؟

ارتبك الشاب ، وهو يقول :

ـ لقد جرى الموقف على نحو عنيف ، أوحى إلينا بحدوث قتال فى الداخل ، ولقد أمرنا هو بصوتك أن ..

قاطعه (فوستر) مرة أخرى فى حنق :

ـ كفى .

بتر الشاب عبارته ، ثم أسرع يقول :

ـ ولكن (آندى) أوقع به ، وحاصره داخل حجرة الغاز الخلفية .

هتف (فوستر) منزعجًا :

ـ هل استخدم الغاز السام ؟

أجابه الشاب :

ـ بل الغاز المخدّر .

قال (فوستر) فى شراسة :

ـ هذا أفضل .. إننى أريده حيًا .

ثم اختطف من الشاب جهاز الاتصال الخاص به ، وضغط أزراره ، وهو يهتف :

ـ كيف الحال عندك يا (آندى) ؟

لم يتلقّ جوابًا من (آندى) ، مما فجّر القلق فى أعماقه ، فقال فى عصبية وتوتر :

ـ اتصل بالهليوكوبتر ، واطلب منها الحضور بأقصى سرعة .. إننا نقاتل شيطانًا رهيبًا ، ولا ينبغى أن تثق بمصرع الشيطان ، إلا وأنت تدفن أطرافه الممزّقة ..

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى مقت :

ـ وبالذات هذا الشيطان ..

* * *

أطلق (آندى) ضحكة ظافرة ساخرة ، عندما انطلق الغاز فى الجزء الخلفى المعزول من السيارة ، وراح يعبث بمسدسه ، وهو يراقب فى تلذذ (أدهم) و (هارولد) ، وهما يحاولان تفادى الغاز ، الذى ينبعث من كل صوب ، ويملأ القفص الزجاجى فى سرعة مدهشة ..

وفى سخرية لاذعة ، قال (آندى) :

ـ إنها هوايتى المفضلة .. أحب أن أشاهد الفئران ، وهى تسقط فاقدة الوعى ، قبل أن أقطع أعناقها بيدى .

رأى (هارولد) يسقط فاقد الوعى ، فى حين قاوم (أدهم) ، وهو يكتم أنفاسه فى قوة ، ثم ضمّ قبضته ، ولكم بها الزجاج فى عنف ، فقهقه (آندى) ضاحكًا ، وقال فى سخرية :

ـ لا تحاول يا رجل .. هذا الزجاج يسمك نصف سنتيمتر ، وهو مدعوم بطبقة بلاستيكية فى منتصفه ، ولن يمكنك تحطيمه أبدًا .

ولكن (أدهم) لكم الزجاج مرة ثانية ، بدوى عنيف ، تلاشى مع ابتسامة (آندى) وحلّ القلق محلّها ، عندما ظهرت شروخ رفيعة على الزجاج السميك ، ورفع مسدسه ، قائلًا :

ـ لو أن الغاز لا يكفيك ، و ...

قبل أن يتمّ عبارته ، هوت قبضة (أدهم) للمرة الثالثة على الزجاج ، واخترقته فى قوة ، وحطمت فك (آندى) كقنبلة عنيفة ،

دفعت الرجل إلى الخلف فى شدة ، فارتطم رأسه بالزجاج الأمامى ، فى نفس الوقت الذى هوت فيه قبضة (أدهم) على الزجاج مرة رابعة ، لتفتح فجوة أوسع ، اندفع جسده عبرها فى ليونة ، وانحنى نصفه العلوى إلى أسفل ، وضغط ذلك الزر ، الذى استخدمه (آندى) من قبل ، فتوقف ضخ الغاز ، وهبطت بقايا الحاجز الزجاجى ، وانفتحت الأبواب ..

وقفز (أدهم) خارج السيارة ، يستنشق الهواء النقى ، ويملأ به رئتيه لحظات ، ثم لم يلبث أن انتزع (آندى) من مكانه ، وانتزع منظاره المعدّ للرؤية الليلية عن عينيه ، وأسرع يرتديه ، ثم احتلّ مقعد القيادة ، فى نفس الوقت الذى ظهرت فيه سيارات المخابرات الثلاث ، التى انطلقت خلفه ..

وأطلقت إطارات سيارة (أدهم) صريرًا عنيفًا ، وهى تنطلق كالصاروخ ، وسط الدغل الكثيف ..

وانطلقت السيارات الثلاث خلفه ..

وهنا تجلى فارق المهارة واضحًا ..

لقد كان الجميع يستخدمون نوعًا واحدًا من السيارات ، له قدرة متماثلة ، ولكن سيارة (أدهم) بدت أكثر سرعة وخفة ، من السيارات الثلاث الأخرى ، وهى تناور وتراوغ فى مرونة ، وتتجاوز الأشجار فى مهارة مذهلة ..

ثم قفزت سيارة (أدهم) إلى الطريق ، ولحقت بها السيارات الأخرى ..

وبدأت مطاردة مدهشة ، عبر طريق (نيويورك) ..

ومن سوء حظ (هارولد) ، أنه لم يشهد هذه المطاردة المثيرة ، التى أثبت خلالها (أدهم صبرى) ، أنه أفضل وأمهر وأذكى من قاد السيارات ، فى النصف الأخير من القرن العشرين ..

حتى قادة السيارات الثلاث الأخرى اعترفوا بهذا ..

كانوا يبذلون أقصى طاقاتهم ، للحاق به ، وعلى الرغم من هذا فلم ينجح أحدهم حتى فى الاقتراب منه ..

ثم ظهرت الهليوكوبتر ، التى يستقلها (فوستر) ..

ومع ظهورها أصبح الموقف شديد الحساسية ..

وشديد الخطورة ..

خاصة عندما بدأت هليوكوبتر (فوستر) تمطر سيارة (أدهم) بالنيران ..

ولكن الرصاصات ارتطمت بجسم السيارة ، وارتدت عنه فى عنف ، فعضَّ (فوستر) شفتيه فى غيظ ، وهو يقول :

ـ بالشيطان !.. نسيت أنه يستقل سيارتى المصفحة :

سأله الطيار :

ـ ماذا يمكننا أن نفعل إذن ؟

أجابه فى حدة :

ـ اسبقه ، واعترض طريقه .. أو حتى انسف السيارة بصاروخ أو صاروخين .. المهم ألا ينجح فى الفرار ..

ورأى (أدهم) الهليوكوبتر تتجاوزه ، فأدرك بخبرته ما يعنيه هذا ، وجذب فرملة اليد فى عنف ، فأطلقت السيارة صريرًا مزعجًا ، وهى تدور حول نفسها ، قبل أن يسيطر عليها (أدهم) ، ثم ينطلق بها فى الاتجاه العكسى ، فى مواجهة السيارات الثلاث تمامًا ..

وصرخ قائد إحدى السيارات الثلاث :

ـ ماذا يفعل هذا المجنون ؟

قالها وانحرف بسيارته فى عنف ، ليفسح الطريق أمام سيارة (أدهم) ، التى تجاوزته كالصاروخ ، وارتطمت بمؤخرة سيارته ، فدفعتها خارج الطريق ، معترضة بمقدمتها طريق سيارة أخرى ، اصطدمت بها فى قوة ، و ...

ودوى الانفجار ، الذى نسف السيارتين بركابهما نسفًا ..

وفى السيارة الثالثة ، هتف أحد رجال المخابرات فى غضب :

ـ أيها الوغد .. لقد قتلتهم جميعًا .

أدار سيارته فى حدة ، كادت تلقيها بدورها خارج الطريق ،

ثم عاد ينطلق خلف (أدهم) ، في حين ارتفعت الهليوكوبتر مرة ثانية ، وعاودت اندفاعها لمطاردته ، والطيّار يقول :

ـ لقد خسرنا سيارتين .

غمغم (فوستر) في مرارة :

ـ بل خسرنا كرامتنا وسمعتنا .

قالها وهو يتابع سيارة (أدهم) ، التي واصلت انطلاقها ، متجهة إلى مدينة (نيويورك) ، ثم لم يلبث أن أشار إلى السيارة ، قائلًا في حنق :

ـ انسفه يا (كيفين) .. انسفه .

ضغط (كيفين) زر استعداد الصواريخ ، المثبتة بجسم الهليوكوبتر ، ثم انخفض بالطائرة فجأة ، وأطلق أحد الصواريخ نحو سيارة (أدهم) ..

وانفجر الصاروخ خلف السيارة تمامًا ، وكاد يدفعها إلى الأمام ، لولا أن سيطر عليها (أدهم) ، وبدأ ينطلق بها في خط متعرّج ، ومسار لولبي عسير ، فصاح (فوستر) :

ـ حاول ألا تخطئ الهدف هذه المرة .. لقد خسرت فرصة نادرة .

حاول الطيّار تصويب صاروخه هذه المرة ، وأطلقه ، ولكنه انفجر إلى يمين السيارة ، فصرخ (فوستر) :



ـ أخطأت مرة أخرى .

هتف الطيار مرتبكًا :

ـ أرأيت كيف ينطلق بالسيارة ؟.. إنه شيطان حقيقي .

صرخ (فوستر) :

ـ انسفه .. حتى ولو كان زعيم الشياطين نفسه .

سرى التوتر في عروق الطيّار ، وحاول أن يصوّب صاروخه في دقة هذه المرة ، ولكن (أدهم) انحرف بحركة مباغتة ، وانحرفت خلفه السيارة المتبقية ، وصرخ (فوستر) :

ـ انسفه .

وضغط الطيّار زر إطلاق الصواريخ ..

وانطلق الصاروخ ..

ودوى الانفجار هذه المرة ..

واتسعت عينا (فوستر) ، وهو يحدّق في السيارة المشتعلة ، التي تحطمت على جانب الطريق ، وصرخ :

ـ أيها الغبي .. لقد نسفت رجالنا .

شحب وجه الطيّار في شدة ، واندفع بكل غضبه وحنقه خلف سيارة (أدهم) ، وصوّب إليها الصاروخ المتبقي ، وهو يهتف :

ـ سأصيبه هذه المرة يا سيدي .

وضغط زر الإطلاق ..

وفى هذه المرة نفذ وعده ..

وأصاب الهدف ..

أصاب سيارة (أدهم) .

* * *



٩ ـ سيرًا على الأقدام ..

ارتفع حاجبا الرئيس الأمريكى فى دهشة بالغة ، وهو يطالع ذلك التقرير ، الذى أيقظه القاضى الفيدرالى خصيصًا ، ليقدّمه إليه ، ورفع عينيه إلى القاضى ، قائلاً فى قلق :

ـ أأنت جاد فى مطلبك هذا أيها القاضى ؟!

أجابه القاضى فى حزم :

ـ تمام الجدية ياسيّدى الرئيس .. إننى أطالب بإلقاء القبض على (جيمس إدوارد فوستر) ، نائب رئيس جهاز المخابرات الأمريكى ، وعلى عدد من رجاله ، وعلى رأسهم مساعده (دانى) ، بتهمة خرق القانون الأمريكى ، ومخالفة الدستور ، والقيام بأعمال إجرامية ، تدخل تحت طائلة القانون ، كما لو كانوا عصابة من المجرمين .

بدا الرئيس شديد القلق ، وهو يقول :

ـ ولكنها ستكون فضيحة كبرى أيها القاضى .

قال القاضى حازمًا :

ـ لن تفوق (واترجيت) ياسيادة الرئيس .

أدرك الرئيس ما يعنيه القاضى ، فمطّ شفتيه ، وتنهّد فى عمق ، ثم جلس خلف مكتبه ، مردفًا :

- نعم .. لن تفوق (واترجيت) .

ثم التقط ورقة من فوق مكتبه ، وهو يقول بلهجة من حسم أمره :

- القانون هو القانون ياسيادة القاضى .. وكل من يخالفه يتعرض للعقاب ، حتى لو كان مدير المخابرات نفسه .

ووقع أمر إلقاء القبض فى حزم ..

* * *

أصاب الصاروخ حقيبة السيارة مباشرة ، وانفجر ، ولولا جسم السيارة المصفح ، لأودى بها الانفجار تمامًا ، ولكن ما حدث هو أن السيارة وثبت فى عنف ، وانقلبت على جانبها الأيمن ، وسقطت خارج الطريق ، واشتعلت النيران فى حقيبتها المنسوفة ..

وبيده الدامية ، من أثر الزجاج ، الذى حطمه بقبضته ، فتح (أدهم) باب السيارة الأيسر ، وحمل جسد (هارولد) ، وقفز خارج السيارة وابتعد بأقصى سرعة وسط الأعشاب ..

ومن خلفه دوى الانفجار ..

انفجر خزان الوقود بالسيارة ، وتناثر اللهب فى دائرة واسعة ، أحاطت بـ (أدهم) وحمله ، وأضاءت المكان كله ، فهتف

(فوستر) ، وهو يشير إلى (أدهم) ، الذى يحمل (هارولد) الفاقد الوعى :

- ها هوذا .. بل هاهما ذان .. هيا .. حاول إجبارهما على الاستسلام ، فلو هرب (هارولد) أو لقى مصرعه ، سنخسر اللعبة كلها .

اندفع الطيار نحو (أدهم) ، وراح يطلق نيران مدفعيه الآليين حوله ؛ لإجباره على الاستسلام ..

ولكن (أدهم) أدرك هذا ..

أدرك أن (فوستر) يرغب فى الإيقاع به على قيد الحياة ، وإلا لأمر الطيار بإطلاق النار عليه مباشرة ..

ومع إدراكه للأمر ، قرر (أدهم) أن يدير اللعبة لحسابه .. وأن يقلب الأمور رأسًا على عقب ..

وبكل قوته ، راح (أدهم) يعدو ، خارج دائرة النيران ، وهو يحمل (هارولد) ، ورصاصات الهليوكوبتر تطارده ، حتى تجاوز المنطقة ، فوضع (هارولد) أرضًا ، ثم مال جانبًا ، واختفى وسط دغل آخر قريب ، فهتف (فوستر) :

- اللعنة !.. سنفقد أثره .

سأله الطيار :

- هل نحاول البحث عنه ، أم نلتقط الآخر ، الفاقد الوعى ، أولًا ؟

أجابه (فوستر) فى حنق :

- دعنا نلتقط (هارولد) أوَّلاً ، فبدونه تفسد القضية كلها .

هبط الطيَّار إلى جوار جسد (هارْولد) ، وغادر الهليوكوبتر ليحمله ، ويعود به إلى الهليوكوبتر ، و ...

وفجأة ، برز (أدهم) من الدغل ، وهو يندفع نحو الهليوكوبتر ..

وأدرك (فوستر) الخدعة على الفور ، فهتف :

- يا للشيطان !

ثم انتقل من مقعده فى سرعة ، إلى مقعد الطيَّار ، وجذب ذراع القيادة ، وهو يستطرد :

- إنها خدعة .

ارتفعت الهليوكوبتر فى حركة حادة سريعة ، وصاح الطيَّار فى ذعر :

- انتظر ياسيِّدى .. إنك ..

بتر عبارته فى ذهول ، وهو يحدق فيما حدث ..

لقد ارتفعت الهليوكوبتر فى سرعة ، ولكن (أدهم) بلغ موقعها فى اللحظة التالية ، ووثب وثبة مذهلة ، ليتعلق بإطارها السفلى ، فى مشهد أقسم الطيَّار فيما بعد ، أنه لن ينساه أبدًا ، مهما طال به العمر ..



لقد ارتفعت الهليكوبتر فى سرعة ، ولكن (أدهم) بلغ موقعها فى اللحظة التالية ، ووثب وثبة مذهلة ، ليتعلق بإطارها السفلى

مشهد بدا فيه (أدهم) أشبه بطائرة بشرية صغيرة ، انطلقت من الأرض ، ثم التصقت بالهليوكوبتر ، التى اختلّ توازنها لحظة ، قبل أن يستعيد (فوستر) سيطرته عليها ، وهو يهتف :

ـ إنه (أدهم صبرى) .. أقسم إنه كذلك .

ولكن جسد (أدهم) انثنى فى مرونة مدهشة ، ليقفز داخل الهليوكوبتر ، وهو يقول فى سخرية :

ـ (أدهم صبرى) لا يفوقنى كثيرًا يا رجل .

نطقها بالعبرية ، فاتسعت عينا (فوستر) فى دهشة ، ثم استلّ مسدسه ، هاتفًا :

ـ لن تقنعنى أبدًا بأنك (موشى دزرائيلى) .

ضرب (أدهم) يده فى بساطة ، وانتزع منه مسدسه ، ثم انتزع جسده كله من أمام ذراع القيادة ، وهو يقول :

ـ ومن يحتاج إلى إقناعك .

وهوى على فكه بلكمة عنيفة ، قبل أن يحتلّ هو مقعد القيادة ، ويعيد إلى الهليوكوبتر توازنها ، ثم يبدأ الهبوط فى هدوء ..

ولم يفقد (فوستر) وعيه هذه المرة ، ولكن الدنيا غامت أمام عينيه ، وفقد عقله القدرة على التفكير مؤقتًا ، حتى سمع (أدهم) يقول للطيّار ، وهو يصوّب إليه مسدسه :

ـ هيا يا رجل .. لنحمل جسد (هارولد) إلى هنا ، وأبعد رئيسك عن الطائرة .

أطاعه الطيّار ، فأخرج (فوستر) من الهليوكوبتر ، ووضع (هارولد) على المقعد المجاور لـ(أدهم) ، واستعاد (هارولد) وعيه ، فى هذه اللحظة ، فغمغم فى حيرة :

ـ أين أنا ؟.. ماذا حدث ؟

نطقها بالأمريكية ، التى لم يعرف لغة سواها ، منذ سنوات عديدة ، فقال (أدهم) ، وهو يبتسم فى هدوء :

ـ كل شىء على ما يرام يا صديقى .. فلتحمد الله (سبحانه وتعالى) ، على أنك ماتزال على قيد الحياة .

تطلّع (هارولد) حوله فى دهشة ، وهتف :

ـ كيف فعلت كل هذا ؟

أجابه (فوستر) فى غضب ، وقد استعاد توازنه :

ـ لن يذهب بك بعيدًا .

بدأ (أدهم) يرتفع بالهليوكوبتر ، وهو يقول :

ـ فليكن يا عزيزى (فوستر) .. أما أنت ، فستضطر للذهاب بعيدًا ، حتى تجد أقرب منطقة مأهولة ، ولكنك ستضطر لقطع كل هذه المسافة سيرًا على الأقدام .. من سوء حظك .

وأطلق ضحكة ساخرة عالية ، وهو يبتعد بالهليوكوبتر ، فلوّح (فوستر) بقبضته فى الهواء ، صارخًا :

- اذهب إلى الجحيم .. لن تفلت أبدًا .

ثم رفع ساعته إلى يده فى سرعة ، وضغط زرًا خفيًا فيها ، وهو يقول :

- هنا الرئيس (فوستر) .. لقد استولى خصمنا على الهليوكوبتر ، وهو ينطلق نحو النقطة (هـ ـ ٣) .. أرسلوا خلفه طائرتين مقاتلتين ، من طراز (إف ـ ٢٠) .. أريد أن يستغرق رجال المعمل الجنائى شهرًا كاملًا ، لاستخراج بقاياه من بين حطام الطائرة .

وأنهى الاتصال ، وهو يرفع عينيه إلى السماء ، مستطردًا فى مقت كامل :

- قلت : إنك لن تذهب بعيدًا أيها الشيطان .. وهذا وعد ..

* * *

انتفض جسد (هارولد) ، عندما نقل إليه لاسلكى الهليوكوبتر رسالة (فوستر) ، وارتجفت الكلمات على شفتيه ، وهو يقول :

- لقد أطلق خلفنا طائرتين مقاتلتين .. لن يمكننا النجاة قط .

أجابه (أدهم) فى هدوء ، وهو ينطلق بأقصى سرعة :

- اطمئن .. لقد أعددت كل شىء .

هتف (هارولد) :

- ألا تفهم ؟.. سنواجه طائرتى فانتوم ، من طراز (إف ـ ٢٠) .

أجابه (أدهم) :

- أعلم هذا .. اطمئن .

التصق (هارولد) بمقعده ، وهو يحدق فى وجه (أدهم) بذهول ..

لم يفهم العبارة أبدًا ..

كيف يطمئن ، وهو يواجه مثل هذا الخطر الرهيب ؟..

كيف يهدأ ، وهو يعلم أن الموت قاب قوسين أو أدنى منه ؟

والأهم هو : كيف يبدو ذلك الرجل ، الذى يقود الهليوكوبتر ، هادئًا إلى هذا الحد ؟..

كلها أسئلة بلا جواب ..

ومن بعيد ، لاح الطريق الرئيسى ، الذى يقود إلى قلب (نيويورك) ، فهتف (هارولد) ، وقد انتعش الأمل فى أعماقه :

- ها هو ذا الطريق .. لو أمكننا الوصول إليه ، فقد ..

بتر عبارته ، وضاع الأمل من قلبه ، الذى هوى بين قدميه ، مع تلك الضجة ، التى صنعتها واحدة من طائرتى (الفانتوم) ، وهى تعبر فوق الهليوكوبتر ، وتتجاوزها ، ثم ترتفع فى سرعة

مدهشة ، بدت معها الهليوكوبتر أشبه بسلحفاة طائرة ، وتفجّر لها اليأس فى نفس (هارولد) ، وهو يقول :

ـ لقد هلكنا .

وفى نفس اللحظة ، ارتفع صوت صارم ، عبر لاسلكى الهليوكوبتر ، يقول :

ـ استسلم يا قائد الهليوكوبتر ، أو نطلق النيران على الفور .

هتف (هارولد) منهارًا :

ـ ليس أمامنا سوى الاستسلام .

لم يجب (أدهم) ، وإنما انحرف يسارًا ، وانخفض بالهليوكوبتر على نحو مباغت ، فصاح به (هارولد) :

ـ ماذا تفعل أيها المجنون ؟.. أتنوى المقاومة ؟

أجابه (أدهم) فى هدوء :

ـ بالتأكيد .

نقل إليهما اللاسلكى ـ عندئذ ـ صوت قائد (الفانتوم) ، وهو يقول :

ـ من الواضح أنه يرفض الاستسلام يا مستر (فوستر) .. ماذا ينبغى أن نفعل ؟

حمل اللاسلكى صوت (فوستر) ، وهو يصرخ :

ـ انسفه .. اسحقه سحقًا .. المهم ألا يذهب بعيدًا .

تلقى قائد (الفانتوم) الأمر ، فأشار إلى زميله ، وإلى الهليوكوبتر ، التى انخفضت إلى أقصى حد ، وراحت تنطلق بمحاذاة الطريق ، على ارتفاع لا يتجاوز الأمتار الثلاثة ، وغمغم :

ـ هيا .. فلننه العملية بسرعة .

انقضت الطائرتان على الهليوكوبتر من الجانبين ، وقال قائد (الفانتوم) الأولى :

ـ وكأنه تدريب عملى .

وضغط زر الإطلاق ، فانطلق من أسفل جناح الطائرة الأيسر صاروخ صغير ، شقّ طريقه فى الهواء بسرعة ، و ...

وأصاب الهدف ..

ودوى الانفجار ..

انفجار شديد ، حوّل الهليوكوبتر إلى أشلاء متناثرة ، تبعثرت على مسافة واسعة ضخمة ، واشتعلت النيران فى بقاياها الصغيرة ، فمطّ قائد (الفانتوم) شفتيه ، وغمغم :

ـ إنهم لا يتعلمون أبدًا .

ثم اتصل بـ(فوستر) لاسلكيًا ، وقال :

ـ تمت المهمة بنجاح يا (فوستر) .

تألقت عينا (فوستر) فى سعادة وظفر ، وقال :

ـ عظيم .. لقد قضينا على الشيطان مرة ثانية .

وتضاعف بريق عينيه ، وهو يضيف فى زهو :

ـ قضينا على (أدهم صبرى) .

* * *



١٠ ـ السقوط ..

لم يبد (فوستر) ـ فى حياته كلها ـ أكثر سعادة وارتياحا ، مثلما بدا فى تلك الليلة ، وهو يجلس فى سيارة خاصة ، تنقله إلى مكتبه ، فى ساعات الفجر الأولى ، وإلى جواره (دانى) ، الذى يقول :

ـ إذن فقد تم القضاء عليه .. هذا عظيم ورائع يا سيدى .. لقد أسعدنى هذا تمامًا ، عندما اتصلت بى لاسلكيًا ، وأبلغتنى الخبر ، وهرعت إليك بهذه السيارة على الفور ، و ...

صمت بغتة ، ثم انخفض صوته ، وهو يستطرد فى حذر :

ـ ولكن هل يمكننا اعتبار المهمة ناجحة ؟

أجابه (فوستر) :

ـ بالتأكيد .. ألم نقض على ذلك المصرى الأسطورة ؟

قال (دانى) بنفس الحذر :

ـ ولكننا فقدنا (هارولد) أيضًا ، وليس لدينا دليل واحد ، على أن خصمنا كان (أدهم صبرى) نفسه ، و ...

قاطعه (فوستر) فى حدة :

ـ كفى يا (دانى) .. إننى سعيد للغاية الليلة ، ولست أحب أن

يفسد على أى مخلوق سعادتى .. سنفكر فى كل هذا فيما بعد .

وصمت لحظة ، ثم استطرد فى صرامة :

ـ صحيح أننا فقدنا (هارولد) ، ولكن ما قيمته ؟.. أنت تعلم مثلى أنه لم يكن ليعترف بحقيقة هويته أبدًا ، وذلك الشيطان المصرى نجح فى تهريب الجاسوسين الآخرين ، مما يعنى أنها كانت فى مجملها قضية فاشلة والشىء الوحيد ، الذى يمكن أن يحوّل هذا الفشل إلى نجاح ، هو القضاء على (أدهم صبرى) ..

وارتسمت على شفتيه ابتسامة جذلة ، وهو يتابع :

ـ لقد اتصلت بـ(إيزاك باراهودا) ، وأخبرته بما حدث ، ولقد بهره هذا تمامًا ، وأسعده للغاية ، وأبلغنى أنه يدعونى لتناول العشاء معه غدًا ، على نفقته الخاصة ، احتفالاً بهذه المناسبة .. هل تصدّق هذا ؟.. (إيزاك باراهودا) يدفع ثمن العشاء من ماله الخاص ؟

قهقه ضاحكًا ، على نحو أدهش (دانى) ، الذى لم يره أبدًا سعيدًا إلى هذا الحد ، فابتسم فى حيرة ، وهو يغمغم :

ـ هذا عظيم بالتأكيد أيها الرئيس .

بلغت بهما السيارة مكتب (فوستر) ، عند هذا الحد ، فأضاف (دانى) فى قلق ، وهو يتطلّع إلى عدد من السيارات ، يقف أمام المبنى :

ـ ماذا يحدث هنا بالضبط ؟ .. إننا فى الفجر ، والعمل لم يبدأ بعد .

غادر (فوستر) السيّارة فى تساؤل ، وقال لأحد الرجال ، الذين يقفون أمام مكتبه فى صرامة :

ـ ماذا تفعلون هنا ؟ .. ومن أنتم ؟

أبرز أحدهم شارته الخاصة ، وهو يقول :

ـ إننا فريق من الشرطة الفيدرالية (إف.بى.آى) .. ونحن هنا بصحبة القاضى ، وهو ينتظرك فى مكتبه ، مع مدير المخابرات .

شعر (فوستر) بقلق حقيقى ، وهو يدخل إلى مكتبه ، ونقل بصره بين القاضى ، ومدير المخابرات ، و(فرانك جير) ، وعدد آخر من الرجال ، قبل أن يقول ، فى لهجة حاول أن يجعلها متماسكة هادئة ، فأتت على الرغم منه مرتجفة عصبية متوترة :

ـ مرحبًا بكم فى مكتبى أيها السادة .. لا ريب أنه سبب بالغ الأهمية ، الذى أتى بكم ، فى مثل هذا الوقت .

أجاب القاضى فى صرامة ، وعلى نحو مباغت ومباشر :

ـ (جيمس ادوارد فوستر) .. إننا نلقى القبض عليك ، بتهمة تجاوز سلطاتك ، ومخالفة القوانين والدستور ، والقيام بأعمال ذات صفة إجرامية ، و ...

هتف (فوستر) مقاطعًا :

- مهلاً أيها السادة .. أى قول أحمق هذا ؟ .. إننى (جيمس فوستر) .. الرجل الذى يدفع دمه وأعصابه ، فى سبيل وطنه ، فكيف ؟

قال أحد الرجال ، المصاحبين للقاضى :

- ادخر دفاعك للمحاكمة يا مستر (فوستر) ، أما الآن ، فمن حقك أن تصمت ، وألا تتحدث إلا أمام محام ، و ...

قاطعه (فوستر) صائحًا :

- ماذا تقول يا رجل ؟

أجابه الرجل فى هدوء :

- إننى أقرأ عليك حقوقك ، قبل إلقاء القبض عليك ، طبقًا للقانون .

صاح (فوستر)

- حقوقى ؟!.. هل أصبحت مجرمًا ؟.. إننى أشرف رجل فى هذا الوطن كله .

قال القاضى فى صرامة :

- الشرفاء لا يخافون القانون ، ولا يتجاوزون سلطاتهم ، أو يزورون تصريحات بتوقيعات الغير يا (فوستر) .

لوّح (فوستر) بذراعيه فى ثورة ، وهو يهتف :

- إننى رجل مخابرات .. ألا تفهمون هذا ؟.. فى عالمنا لا

يوجد شىء اسمه القانون أو المخالفات .. إننا نفعل أى شىء فى الدنيا ، لنحمى الوطن ، ونقيه شر أعدائه .

قال (فرانك جبر) فى صرامة ، تمتزج بشىء من الشماتة :

- يبدو أنك تفهم عمل المخابرات على نحو خاطئ يا عزيزى (فوستر) .

التفت إليه (فوستر) فى غضب ، صائحًا :

- هذا أفضل من أن أكون جاسوسًا إسرائيليًا مثلك يا عزيزى (فرانك) .

شحب وجه (فرانك) فى شدة ، واتسعت عيون الجميع فى ذهول ، وهتف مدير المخابرات :

- (فرانك) .. أهذا صحيح ؟!

لوّح (فرانك) بكفيه فى ارتباك ، وهو يقول :

- سيّدى .. الواقع أننى ..

قاطعه (فوستر) فى ثورة :

- لا تحاول الإنكار يا (فرانك) .. إننى أمتلك كل الأدلة .. صور .. وثائق .. وحتى تسجيلات لمحادثات هاتفية .. إننى أمتلك ما يكفى لنفيك مدى الحياة يا رجل .

انهار (فرانك) فوق أقرب المقاعد إليه ، وأخفى وجهه بين

كلفه ، فى صورة بدت أشبه باعتراف واضح صريح ، لا يقبل الجدل ، وران صمت تام على الحجرة ، قطعه القاضى ، وهو يقول :

- يبدو أنها ستكون قضية أضخم مما نتصوّر .. هيا يارجال .. سنلقى القبض على (فوستر) ، و(فرانك) ، و(دانى) .. ولتتفجّر الفضيحة بكل قوتها .

انهار (فوستر) بدوره ، وهم يحيطون معصميه بالأغلال ، وراحت أعصابه تصرخ بسؤال واحد ..

من فعل بى هذا ؟

من ؟..

* * *

«أنت..»

هتف (هارولد) بالكلمة ، وهو يجلس الى جوار (أدهم صبرى) ، فى سيارة رياضية سريعة ، تعبر بهما شوارع (نيويورك) ، فى ساعات الفجر الأولى ، قبل أن يتابع مبهورًا :

- أنت أوقعت بـ(جيمس فوستر) ؟! كيف ؟!

أجابه (أدهم) فى هدوء ، وهو يقود السيارة :

- هو الذى منحنى الحبل ، الذى شنقته به يا صديقى ، عندما تحدث معى عن ذلك التصريح المزيّف ، وهو يظننى مساعده

(دانى) .. كما ساعد على هذا تجاوزه الدائم للقوانين ، وكأنه يعمل بلا رقابة أو سلطة أكبر .. ألا تعلم المثل الشهير فى (مصر) يا صديقى .. «سر فى طريق مستقيم ، يحار عدوك فى الإيقاع بك» ؟

هزّ (هارولد) رأسه فى انبهار ، وهو يقول :

- يا إلهى .. كم يدهشنى أن ألتقى بشخص مثلك ، فى هذا العالم .. إنك معجزة يارجل .. لن أنسى أبدًا تلك اللحظة ، التى قفزنا فيها من الهليوكوبتر ، على ارتفاع ثلاثة أمتار ، بعد أن أشعلت القيادة الآلية ، وتركتهم يهاجمون هليوكوبتر خالية .. إنك عبقرى وداهية .. لم أتصوّر أبدًا أنك تحتفظ بهذه السيارة الرياضية ، فى مكان قريب .. من الواضح أنك تعدّ لكل شىء عدته ، وتدرس كل الاحتمالات ، حتى أكثرها صعوبة ، وأقلها احتمالًا .

أجابه (أدهم) فى هدوء :

- هذا حتمى فى مهنتنا يا صديقى .

تطلّع إليه (هارولد) فى اهتمام ، وهو يسأله :

- مهنتنا ؟!.. أتعنى أنك تنتمى الى جهاز المخابرات .

صمت (أدهم) لحظة ، ثم أجاب :

- يمكنك أن تقول هذا .

قال (هارولد) فى دهشة :

- أى جواب هذا ؟.. إما أنك تنتمى إلى المخابرات أو لا .

تنهّد (أدهم) ، دون أن يجيب ، وانتظر (هارولد) الجواب فى اهتمام وفضول ، ولكن (أدهم) أشار أمامه ، قائلاً :

- لقد وصلنا .

قالها وهو يعبر بوّابة مطار خاص ضخم ، تراصت داخله عدة طائرات صغيرة فسأله (هارولد) :

- حسنًا .. أخبرنى فقط .. هل ستظلّ مرتديًا قناع (فوستر) هذا ؟..

ألن تكشف عن وجهك الحقيقى ؟

لم يجب (أدهم) عن هذا السؤال أيضًا ، وإنما أوقف سيّارته عند طائرة خاصة ، وهبط منها ، وقال للطيار ، الذى بدا وكأنه فى انتظاره :

- أهذه طائرة سنيور (أميجو) ؟

اعتدل الطيّار ، وأجاب :

- نعم ياسنيور .. أأنت ..

أجابه (أدهم) :

- سنيور (لويز) ، وهذا صديقى مستر (هاردى) .

قال الطيار ، فى احترام بالغ :

- مرحبًا بكما ياسيّدى .. لقد تلقيت أمرًا من سنيور (أميجو) ، بنقلكما على طائرته إلى (المكسيك) ، على وجه السرعة .. تفضّلا .

لم تمض دقائق معدودة ، حتى كانت الطائرة تحلّق بهما ، فى طريقها إلى (المكسيك) ، واسترخى (أدهم) فى مقعده ، وأرخى جفنيه ، ولكن (هارولد) سأله فى صوت خافت :

- المفروض أنك (أميجو) هذا .. أليس كذلك ؟

ابتسم (أدهم) ، مغمغمًا :

- استنتج ما يحلو لك .

سأله (هارولد) فى دهشة :

- لماذا ترفض الإفصاح عن شخصيتك ؟

أجابه فى خفوت :

- لدى أسبابى .

قال (هارولد) فى حيرة :

- ولكنك مصرى مثلى .. لهجتك تؤكّد هذا .

ابتسم (أدهم) ابتسامة شاحبة ، وهو يقول :

- لم يكن من الحكمة أن تنكر هذا ياصديقى ، فربما كان كل

ما حدث مجرد خدعة من المخابرات الأمريكية ، لإيهامك بالنجاة ، ودفعك للكشف عن حقيقة هويتك .

امتقع وجه (هارولد) ، وهو يقول :

ـ أنت على حق .

ثم استدرك فى سرعة :

ـ ولكن الأمر يختلف معك .

سأله (أدهم) فى تكاسل :

ـ لماذا ؟

أجابه (هارولد) فى لهجة صادقة مخلصة :

ـ إننى أثق بك .

ابتسم (أدهم) مرة أخرى ، وقال :

ـ هذا يسعدنى ، ولكن فى عالمنا لا تكفى الثقة وحدها ، لتكشف أوراقنا على هذا النحو .

قال (هارولد) فى حزم :

ـ أنت على حق ، وعلى الرغم من هذا ، فسأخالف القاعدة بكل سرور ، وأكشف لك عن أهم أسرارى .. عن اسمى الحقيقى .. اسمى الذى لم أسمعه أو أستخدمه ، منذ زمن طويل .

واعتدل مستطردًا :

ـ اسمى (هاشم) .. (هاشم درويش) .

افتر ثغر (أدهم) عن ابتسامة هادئة ، وهو يغلق عينيه ، قائلًا :

ـ أعرف هذا .

هتف (هارولد) فى دهشة :

ـ تعرفه ؟!.. ولكن هذا مستحيل .. لا يعرف اسمى الحقيقى سوى الصفوة ، من رجال المخابرات المصرية .

غمغم (أدهم) :

ـ هذا صحيح .

حدق (هارولد) فى وجهه لحظة ، فى اهتمام بالغ ، ثم قال :

ـ إنك تحيّرنى فى الواقع يا رجل .. إنك مقاتل فريد ، لا يشق له غبار ، وعبقرى فى التخطيط والتنفيذ .. وغامض للغاية ، وتمتلك ثروة ضخمة ، وطائرة خاصة ، وجسارة بلا حدود .. من أنت بالضبط ؟

تمتم (أدهم) :

ـ صديق .

قال (هارولد) :

ـ فقط .

اعتدل (أدهم) ، وقال ، مغيرًا الحديث فجأة :

ـ اسمعنى جيدًا يا (هاشم) .. عندما تصل إلى المكسيك ، ستجد جواز سفر دبلوماسيًا ، صنعه لك صديقنا (قدرى) ..

يحمل اسمك المصرى الحقيقى ، وألف دولار ، وحقيبة ملابس ..
وكل ما أطلبه منك هو أن تستقل أول طائرة إلى (القاهرة) مباشرة .

وعاد يسترخى فى مقعده ، مستطردًا :

ـ لقد انتهت مهمتك الطويلة ، فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وآن لك أن تعود إلى الوطن .

قالها وأسبل جفنيه هذه المرة ، واستسلم لجسده المكدود ، ونام .

نام فى عمق ..





١١ ـ الختـــام ..

أمسك مدير المخابرات المصرية ذقنه ، بسبابته وإبهامه ، وهو يطالع تلك البرقية الشفرية ، التى أرسلها (هارولد) ، من على متن الطائرة ، التى تقله إلى (القاهرة) ، وبدا شديد الاهتمام بكل حرف من حروفها ، و (أشرف) يلوّح بذراعيه أمامه ، هاتفًا فى مزيج من الدهشة والحيرة :

ـ لم أعد أفهم ما يحدث .. الجميع نجوا .. حتى (هارولد) نفسه ، وفى (أمريكا) يلقون القبض على (فوستر) و (فرانك) و (دانى) ، ولا أحد يمكنه إثبات تورّطنا فى الأمر .. نجاح رائع لم تكن تحلم به ، ودون أن نرسل أحدًا من رجالنا .

رفع المدير عينيه إليه ، وقال :

ـ وربما أرسلنا أفضل رجالنا .

هتف (أشرف) :

ـ كيف ؟

التفت المدير إلى (منى) و (قدرى) ، اللذين يجلسان أمامه ، وقال :

ـ هل أجد لديكما جوابًا ؟

هزّت (منى) كتفيها ، وقالت فى هدوء :

ـ إننى لم أر وجه من أنقذنى .. كنت فاقدة الوعى فى المستشفى ، واستيقظت لأجد نفسى فى السفارة ، و ...

تجاهل المدير باقى حديثها ، وهو يلتفت إلى (قدرى) ، ويسأله :

ـ وماذا عنك ؟

تنحنح (قدرى) ، والتقط نفسًا عميقًا ، واعتدل فى مقعده ، وقال فى حماس :

ـ كانت ليلة شديدة الظلام ، وكنت نائمًا فى عمق ، وفجأة ..

كاد يقفز من مقعده ، وهو يلوّح بذراعيه ، على نحو مسرحى ، مستطردًا :

ـ ظهر ذلك الرجل .. ضخم .. طويل القامة ، له وجه نحيل ، ونظرات قوية ، وطلب منى أن أذهب إلى السفارة ، وأخبرنى أننى سأجد (منى) هناك ، و ...

شعر المدير بالضجر ، إزاء هذا الكذب المفضوح ، فقاطعه قائلًا :

ـ لماذا سافرت إلى (المكسيك) ، ومنها إلى (أمريكا) ؟

ابتسم (قدرى) ، وهو يقول :

ـ نوع من السياحة العلاجية ، فقد أخبرنى بعضهم بوجود

مركز متخصص فى تخفيض الوزن ، فى (أكابولكو) ، ومنها ذهبت إلى ...

للمرة الثالثة قاطعه المدير :

ـ كفى يا (قدرى) .

رسم (قدرى) على وجهه أكبر قدر من الطيبة والسذاجة ، وهو يبتسم قائلًا :

ـ ألا تصدّقنى يا سيّدى ؟

ابتسم المدير بدوره ، قائلًا :

ـ من قال هذا ؟

ثم التفت إلى (حسام) ، الذى يجلس فى نهاية الحجرة ، يطالع الموقف فى صمت ، وسأله فى هدوء :

ـ هل تصدّق حديثهما هذا ؟

أجابه (حسام) فى جدية :

ـ ولا حرف واحد منه .

ثم اعتدل ، وأضاف :

ـ صحيح أننى لم أر وجه منقذى ، وأننى لم أشعر إلا وأنا هنا ، فى قلب (القاهرة) ، ولكننى طالعت كل ما سجلته مخابراتنا ، عما حدث هناك ، فى (نيويورك) ، ويمكننى الجزم بعدد من الأمور ، لا تقبل الشك .. أوّلها أن هذا الشخص محترف ولاشك ، وليس

مجرّد محترف .. إنه شخص يزاول هذه المهنة ، منذ نعومة أظفاره .

ابتسم المدير ، قائلاً :

ـ عظيم .. وماذا أيضًا ؟

تابع (حسام) :

ـ وثانيًا : أنه رجل ينتمى إلى (مصر) .. وبشدة ، حتى ليخاطر بكل نفيس لديه .. حتى بحياته نفسها ، فى سبيلها ، دون أن يهتمّ حتى بكشف اسمه .

ثم تطلّع إلى (قدرى) ، مضيفًا :

ـ وثالثًا .. إنه رجل يعرفه (قدرى) جيّدًا .

هتف (قدرى) :

ـ ولماذا أنا بالذات ؟

أجابه (حسام) :

ـ لأن الشخصيات التى انتحلها هذا الرجل ، كانت تحتاج إلى عدد من الوثائق والهويات والبطاقات المزيّفة ، وهذا يبرّر سفرك إلى (المكسيك) .

تنحنح (قدرى) فى حرج ، وهو يقول :

ـ يبدو أنك أخطأت فهم الموقف .. إننى ..

ابتسم المدير ، وهو يقاطعه هذه المرة ، قائلاً :

ـ لا داعى يا (قدرى) .. قلت : إننا نصدّقك .

ثم تراجع فى مقعده ، وشبك أصابع كفيه أمام وجهه ، مستطردًا :

ـ كل ما أطلبه هو أن يكتب كل منكما تقريرًا عما حدث .. من أصل وثلاث صور كالمعتاد .

واتسعت ابتسامته ، وهو يستطرد :

ـ أما بالنسبة لملاكنا الحارس ، الذى نجهل جميعًا اسمه وهويته ، فلن نحاول التدخل فى شئونه مؤقتًا ، وسنترك له حرية اختيار الوقت المناسب ، للإعلان عن نفسه ، وعن عودته إلى عالمنا ، فلا ريب أن لديه من الأسباب القوية ، ما يجبره على هذا ، ولكن ..

صمت لحظة ، بعد كلمته الأخيرة ، فتعلّقت به كل العيون ، قبل أن يستطرد بابتسامة ارتياح :

ـ ربما يحتاج منا الأمر إلى إسناد قضية أخرى إليه فى المستقبل .. أليس كذلك ؟

غمغمت (منى) :

ـ لست أظنه يتردّد فى تنفيذها .

وأضاف (قدرى) :

ـ بكل تأكيد .

تملك الارتياح إلى ابتسامة المدير ، واعتبر قول (منى) و(قدرى) تأييدًا لفكرته ، على الرغم من غرابتها وجنونها ، فقال :

ـ هيا .. انتهى الاجتماع .. يمكنكم الانصراف .

غادر ثلاثتهم الحجرة ، وعلى بابها ، استوقف (حسام) (منى) ، وقال فى لهجة شديدة الجدية :

ـ (منى) .. أعتقد أننى أدين لك بالاعتذار .

سألته فى حيرة :

ـ عن ماذا ؟

أجاب فى حسم :

ـ عن رغبتى فى الحصول على اللقب .. اسمعينى جيدًا .. عندما تلتقين به ، فى المرة القادمة ، أخبريه أننى أعترف بأنه لا يوجد سوى واحد فقط ، فى العالم كله ، يمكنه أن يحمل هذا اللقب .

واكتسى صوته بالاحترام والتقدير ، وهو يضيف :

ـ لقب (رجل المستحيل) .

قالها وابتعد فى خطوات سريعة ، وترك (منى) وحدها ، تتابعه ببصرها فى صمت ، وهى تسأل نفسها ..

هل ستخبره ، عندما تلتقى به مرة ثانية ؟..

وهل ستلتقى به مرة ثانية ؟

هل ؟.

* * *

وصل (أدهم) بسيارته إلى المزرعة الشاسعة ، فى (كيواوا) المكسيكية ، وتوقف أمام ذلك القصر الصغير فى منتصفها ، ولم يكد يغادر السيارة ، حتى هرعت إليه مربية طفله ، هاتفة :

ـ سنيور (أميجو) .. حمدًا لله على عودتك سالمًا .

وأطلق حصانه المفضل صهيلًا قويًا ، وكأنه يرحب به بدوره ، فابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

ـ مرحبًا بكم جميعًا .. كيف حال الصغير ؟

ارتبكت المربية ، وهى تقول :

ـ الصغير ؟.. إنه .. أعنى أن ..

سألها فى توتر :

ـ ماذا به ؟.. هل أصابه مكروه ؟

هتفت :

ـ كلا إنه بخير .. ولكن ..

ترددت مرة أخرى ، فانعقد حاجباه فى شدة ، واندفع إلى داخل

القصر ، وصعد إلى الطابق الثانى بقفزتين قويتين ، ودفع باب حجرة طفله ،ثم تضاعف انعقاد حاجبيه ،وهو يتطلّع إلى الحجرة الخالية ، قبل أن يقول :

ـ أين الصغير ؟

لحقت به المربية ، وهى تلهث فى شدة ، وأجابت :

ـ الصغير مع السنيورا (نورما) .. لقد .. لقد ..

لهثت مرة أخرى ، قبل أن تستطرد :

ـ لقد رحلا .

ردد فى توتر :

ـ رحلا ؟!.. ماذا تعنين ؟

أجابته لاهثة :

ـ لقد جمعت السنيورا (نورما) كل ملابسها وملابس الصغير ، ورحلت .

هتف (أدهم) :

ـ ماذا تعنين ؟. هل هربت ؟

أجابته مذعورة :

ـ لست أدرى ياسنيور .. أقسم لك .. كل ما قالته هو : إنها سترحل مع الصغير ، ولم تحدّد وجهتها ، وتقول : إنها تركت لك رسالة فى حجرتها .

تركها (أدهم) ، واندفع نحو حجرة (سونيا) ، ودفع بابها بقدمه فى عنف ، وقفز نحو المنضدة الصغيرة المجاورة لفراش (سونيا) ، والتقط مظروفًا مغلقًا ، فضه فى عنف ، والتقط من داخله صورة لطفله ورسالة ، تقول كلماتها المكتوبة بالعربية :

ـ عزيزى (أدهم) .. لقد تركتنى من أجل امرأة أخرى ، وما من امرأة ، فى العالم أجمع ، يمكن أن تغفر لزوجها هذا .. ولقد وعدتك أن تندم على هذا يا (أدهم) .. وستندم .. ستندم أشد الندم .. صحيح أنك منعتنى من كشف سرك ، أمام (إيزاك باراهودا) ، ولكن هذا لن يمنعنى من الانتقام منك .. لقد عدت إلى هنا ، وجمعت كل متعلقاتى ومتعلقات الطفل ، وتركت لك ثيابك وأدواتك ، وعشرة ملايين دولار ، كلها مسجّلة باسمك ، منذ ابتعنا هذه المزرعة ، ولم يمكننى استعادتها للأسف .. وعندما تعود ، أكون قد رحلت أنا وطفلنا ، إلى جهة لن تعلمها قط ، ومعى ما يقرب من ثلاثين مليونًا من الدولارات .. وفى مكان ما من العالم ، وبمعاونة المال ، الذى يفتح كل الأبواب المغلقة ، ستنتهى (نورما كرينهال) ، كما انتهت (سونيا جراهام) من قبل ، وستظهر امرأة جديدة ، باسم جديد ، ووجه جديد .. وما أسهل تغيير وجوه النساء يا عزيزى .. أما ابنك ، الذى أعلم أنك تحمل له كل حب الدنيا بين ضلوعك ، فلن تراه بعد اليوم أبدًا يا (أدهم) .. حاول أن تنسى أنك أنجبته منى يومًا ، وسأحاول أن أنسى أننى

أنجبته منك .. أما عن (منى توفيق) .. تلك المرأة التى أحببتها ، والتى تركتنى من أجلها ، فيمكنك العودة إليها .. إننى أتنازل عنك لها ، وحاول أن تجعلها تنجب لك ابنًا آخر ، بدلًا من ذلك الذى أنجبته لك أنا ، والذى سيحمل حتمًا الجنسية الإسرائيلية ، لأن أمه يهودية ، كما ينص القانون الإسرائيلى(*) .. والآن قل وداعًا يا (أدهم صبرى) .. قل وداعًا لابنك .. وإلى الأبد .. (سونيا جراهام) .

اعتصر (أدهم) الرسالة فى قبضته ، كما اعتصر الألم والحزن والمرارة قلبه ، وأطل غضب الدنيا كلها من عينيه ، وهو يقول :

ـ هراء يا (سونيا) .. سأستعيد ابنى أيتها الأفعى .. سأستعيده حتى لو جبت العالم كله ، وقلبت كل حجر فيه ، من أجل هذا .

وصرخ فجأة :

ـ سأستعيده بإذن الله يا (سونيا) .

واعتصر الألم قلبه أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

* * *

[تمت بحمد الله]

(*) حقيقة ، فالقانون الإسرائيلى يمنح الجنسية ، لكل من وُلد لأم يهودية فقط .